18me Année No 901

Le Caire - 9 - 10 - 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر البلاد الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٦٩ — ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

سياسة التعليم ...

للأستاذ أحمد بك رمزي

« إن بث العرفان والتقدم في هذا البلد المتخلف عن غيره يتمثل رسالة الجيل الناشيء : وإيجاد جيل يؤمن بهذا ويعمل له ويكافح من أجله هو هدف كل سياسة تعليمية »

لست من رجال التعليم والتربية ، ولكنني من أهل هذا الوطن ، ومن حقي أن أبدي الرأي وأجهر به في كل ما يمس حياة بلادنا . وأهم ما شغل كل مصر وأوسعها آراء مشكلة التعليم ، وهي مشكلة تسير كل عام نحو التعقيد ولهذا لا أجد حرجاً على نفسي أن أكتب فيها وأقول : إذا كان للتعليم سياسة فهي كما قال الأستاذ محمد محمود زيتون (1) أحق من أي سياسة أخرى بالثبات والاستقرار ولاسيما في جوهرها .

وفي نظري إذا قدر لسياسة تعليمية أن تستقر وتثبت على أسس صالحة واضحة فيجب أن تلائم بين أمرين مهمين :

الأول : حاجة البلاد الاقتصادية

الثاني : مسايرة الثقافة العامة لروح العصر الحالي .

هذا مع التمسك بأن كل سياسة تعليمية لها هدف أساسي هو نشر الثقافة القومية وغرسها في نفوس النشء ، لكي تشعر بحيويتها وتعيش في فيضها الأجيال القادمة وتتولى حفظها والسير بها في المستقبل ، مع عدم التفريط في توجيه القوى النفسية الدافعة الكامنة في الأمة حتى يخرج الجيل القادم قوياً : يعرف كيف يواجه ضربات الحياة ومشاكلها وبهذا نضمن أن تخرج الأمة من كل عراك سلمي أو تصادم حربي منتصرة رافعة الرأس صلبة لا تلين أمام الهزائم ولا النكبات .

ولا شك في أن العمل للوصول إلى هذه الغاية يحتم الإلمام بطائفة من المبادئ التي تبني عليها قواعد غرس هذه الروح القومية الوطنية القوية الواعية ، وكذلك معرفة العوامل الأساسية المكونة لشخصية الجماعات والدوافع الفكرية وهي مسائل في حاجة للبحث والدرس ولاستخلاص الحقائق : فإذا وفقنا للدراسة عملية لما لنتثبت منها تبين لنا بوضوح طريق الوصول إلى التكوين الروحي

(1) الرسالة عدد ٨٨٦ في ١٩ رمضان ١٣٦٩

والمثل العليا للأمة وسبل إبراز العبقرية الكامنة لدينا واستعدادنا للتطور والنضوج. وهذه في نظري عوامل مشتقة من شخصية الأمة وتاريخها الاسلامي ولا يمكن أن تكون عارية تؤخذ من أنظمة موضوعة أو برامج تعليمية أخذ بها الغير في الغرب أو الشرق. وهذا البحث النظري التجريبي لم نأخذ به للأسف إلى الآن. ولقد قلت مرة: «إنا ثقافة واحدة نريد أن تكون صورة حية لنا وهي الثقافة العربية وليدة كفاحنا وجهادنا؛ لا نسلم بأن تطغى عليها ثقافة أخرى لأنها الأساس الثابت لتكوين الشخصية المصرية فلا يمكن أن نتنازل عنها أو نقصر في حقها بل يجب أن تبرز الثقافة العربية في كل ركن وناحية من نواحي نشاطنا».

ولذلك لا أجد مبرراً للتردد أمام هذه الحقيقة ولا أجد سبباً للمجاهرة «بأننا أمة شرقية للفرعونية والاسلامية في دمائنا كرات حمراء وبيضاء، والحضارة الحديثة في حياتنا أسماء...» — كما قال الأستاذ زهون في الرسالة — فهنا المخرج لا على له أمام الايمان بعروبة مصر «فنحن معاشر المصريين نكون أمة عربية ثقافتنا عربية سامية؛ ولا يمكن أن نكون غير ذلك وإلا وقعنا في المتناقضات وواجهتنا حالات التشتت والتفكك التي نعيش فيها الآن ولا نجد لنا منها مخرجاً... ولا نستطيع منها حولا». وعليه فإني أقول بأن الايمان بعروبة مصر هو الذي يمهد لنا طريق البحث والاستقراء في اكتشاف منابع الحياة الفكرية والعقلية بل والنفسية في الأمة وسبل توجيه اللغة والأدب والفنون الجميلة والصحافة والاذاعة وكل مظاهر الحس والوجدان نحو تقوية أنفسنا واذكاء هذه الثقافة وغرسها وإعلائها ونشرها وانطلاقها أي جعل اللغة الفصحى الصحيحة حية في كل مكان — في لغة التفكير والكلام والعلم والكتابة والمعمل والمصنع — وعليه أضع سمو اللغة العربية في المقام الأول من المسئولية، وأعده الدعامة الأولى لمستقبل البلاد. وأرى أن يتفرغ لهذه الناحية بالذات وأن ينظر إلى وسائله نظرة يحوطها التقديس، ولا يحول حائلا بين لغة البلاد وحماية ثقافتها، التي أعتبرها أكبر عناصر الشخصية المصرية وأعلى مظاهر عبقريتها. فإذا اتفقنا على هذا الأساس، ولا بد أن نسلم به تسليما انتقلنا إلى أهداف السياسة التعليمية كما تبدو لي.

وهنا أعود إلى الكلام عن الأمرين الهامين أي حاجة البلاد الاقتصادية ومماشاة أو مسايرة السياسة التعليمية لروح العصر الحاضر. فنحن لا نشك لحظة واحدة في أن كل سياسة للتعليم تستمد قوتها وتوجيهاتها من الروح السائدة الآن في العالم وهي علمية اقتصادية[1] Sciences économiques ولا أعرف لها مظهراً آخر ولا أخلط بين الحضارة الحديثة والاسلامية والفرعونية.

فنحن نطالب بأن تتجه السياسة التعليمية نحو الملاءمة بين مطالب العصر وهي علمية اقتصادية وحاجات هذه الأمة، لكي تعيش في القرن العشرين.

ولقد قرأت لكثيرين ممن عرضوا لشئون التعليم وخرجت من أبحاثهم بفكرة عامة هي أن الديموقراطية تجعل الثقافة والتعليم حقا للجميع بل هي ترمي إلى جعل تكافؤ الفرص حقيقة سهلة المنال لكل فرد. وعلى هذه الفكرة سار التعليم في مصر هذه الخطوات المباركة متجها إلى زيادة المدارس وفتح الجامعات والاكثار من دور العلم والمعاهد ولكنه انتهى إلى تيسير الشهادات وبدلا من دفع خريجي هذه المعاهد إلى البحث عن عمل لهم ورزق يعيشون منه تحت لواء الاقدام والمثابرة، انتهى إلى حشد صفوف من حملة الشهادات يطالبون باستحقاقات في أوقات عسيرة. وهذا هو السؤال الهام الذي يواجه رجال المعارف المصريين هل نجحت سياسة مصر التعليمية بعد أن كف رجال الاستعمار الانجليزي أيديهم عن التدخل فيها؟ وهل وفقت في سد حاجات البلاد وأخرجت جيلا يقدر أن يقف وحده بإرادة وتصميم ليسير بمصر نحو التطور الصحيح!

الجواب على هذا يقدمه رجال التعليم في أبحاثهم ومناهجهم وما يشغل الرأي العام من تبلبل عند اعداد السنة الدراسية وعند

(1) راجع [illegible] Evolution de [illegible] par [illegible] للأستاذ بجامعة بونس ايرس بأميركا الجنوبية.

نهايتها في موسم الامتحانات وما يصيب التعليم من هزات كلما نادى المنادون بتحسين حالهم وأساليبهم وكلما تقدم الطلاب بمطالب تعجز الوزارة عن تنفيذها ...

إني أضع أمام القارئ، ما أعتقد أنه يصلح لإعطاء فكرة أولى لما يجول بخاطري: فأقول « إن الثبات والاستقرار » يحتاجان من البدء وضع الأسس وهذا يتمثل في نظري: في تنسيق السياسة التعليمية بجعلها كما قلت من البدء: « خاضعة لحاجيات الأمة ومصالح البلاد » فإذا كانت النظم الديموقراطية adapter l'enseignement aux besoins et aux intérêts du pays تحتم رفع ما أمكن من المستوى الجسماني والعقلي والأدبي والخلقي لشباب الأمة، وترمي إلى تمكين كل فرد من أفراد الشباب من دخول مدارس الدولة مهما كانت حالته[1] الطبيعية أو الاجتماعية أو المالية أو الجنسية للحصول على الثقافة بأقرب سبيل، لا فرق بين القوي والفتاة ولا بين الغني والفقير، بل تذهب إلى أكثر من ذلك فتفرض على وزارة المعارف أن تمهد السبل لكل طالب حق استعمال حريته التامة في اختيار الطريق للدراسة التي تلائم تطور شخصيته وتمكينه من استقلال استعداده الفطري للتقدم والبروز حتى تظهر كفايته لنا وحتى يستفيد المجموع من هذا الفرد الناشئ، فإن هنالك بجانب هذه الأهداف السامية اتجاهات تحتم أن تكون سياسة التعليم سياسة مبنية كما قلت على أسس اقتصادية ملية تستهدف تحقيق غايات معينة وسد النقص في نواحي النشاط التي تتطلبها حاجات البلاد وتحتمها تطورها في القرن العشرين. وهنا يجب أن يتسع نشاط الهيئات التعليمية حتى تخرج كل سنة آلاف العمال الفنيين المتعلمين، وآلاف الزراع الذين يرفعون من مهنة الزراعة، وآلاف ضباط الصف الذين يعتمد عليهم الجيش البوليس والقوات المسلحة، وآلاف الميكانيكيين وهلم جرا مما لا يمكن حصرهم في حياة أمة حديثة ناشئة.

فأنا لا أستطيع أن أفهم سياسة تتضح مثلا لا تشترك فيها وزارة المعارف، ولا أتصور نجاح عمل يقصد به رفع الإنتاج الزراعي في مصر من غير أن تسانده سياسة تعليمية تساعد وتمهد لهذا التطور الإنتاجي في الميدان الزراعي والصناعي. ولقد رأينا في بعض البلاد الشرقية — وهي في ظروفها تشبهنا تماما — حينما أرادت أن تنشر الريف في مناطق بعيدة عن المدنية والعمران ولا يمكن أن تقاس بها سافلات مصر، رأينا جل اعتمادها على نشاط المدرسة في القرية، وكان هذا النشاط في الثقافة أولا، ثم في العلم. ولا يمكن الإقلال من أثر المدرسة في دفع الحياة الريفية، لأن نقل المزارع وأهل بيته من حالة التأخر والنهوض إلى القرن العشرين أتى على عاتق المدرسة؛ فهي التي فرضت التقدم في صميم عائلات الريف، وهي التي قادت حركة التثقيف وتحسين الصحة. وكان عمل المدرسة في الريف مستمدا من توجيه الرابطة التعليمية في كل إقليم والتي يحتم أن تصبح مركزا للتثقيف ونشر التعليم والتمدين في الدائرة التي تعمل فيها؛ فلا يقتصر عملها على إدارة المدارس الابتدائية والثانوية بل يجب أن يتعدى نشاطها هذه الدائرة فيشمل مجموع السكان؛ وأن يسند عملها إلى رجال يمثلون مختلف الهيئات سواء كانوا من رجال المعارف أو المجالس المحلية أو من ممثلي الهيئات الصناعية والزراعية حتى لا يقتصر عملهم على نشر التعليم الثقافي بين الجماعات ومحاربة الأمية بل يشمل النظر في حاجيات كل إقليم لدفع التطور الزراعي والصناعي من هذا الإقليم إلى الأمام عاما بعد عام.

كل هذا يمكن أداؤه وتنظيمه. وإن تزود الريف يجعل اللامركزية عنصرا من عناصر التقدم التعليمي والسير به نحو تثقيف أكبر عدد ممكن من الشعب. ولهذا أعد هذه اللامركزية خطوة أولى تستهدف رفع الأعباء وتخفيفها عن وزارة المعارف، ثم أطمع في بطش يدفع الحياة الاقتصادية للأمام إلى الأخذ بنوع من السياسة التعليمية يقصد به الملاءمة بين التعليم وحاجات السكان المحلية. أطمع إلى زيادة المدارس الفنية المتوسطة بحيث تقوم الصناعة والزراعة المصرية على (كادر) وأقصد به (مجموعة) من العمال والرؤساء الذين اتقنوا عملهم. بل في حاجة إلى عشرات من هذه المدارس الصناعية والزراعية قبل أن نكون في حاجة إلى إنشاء جامعة جديدة. وإليك بعض ما لاحظته إبان وجودي خارج

---

١ — تكون هنا لنا يلاحظ من ارتفاع نسبة الأمية والجهل بمحافظين عند مدارتهم بالطوائف الأخرى.

مصر . لقد سمحت لي خدمتي الأشغال بمئات كثيرة من الشعب المصري . وقد رأيت من أهل شمال الدلتا وخصوصاً (دمياط) رجالاً يعملون بالبحار ويواجهون الموت في الحرب الثانية : فقلت لنفسي هؤلاء ثروة لمصر . ألا ترى أنهم في حاجة لسياسة تعليمية تتفق مع بيئتهم واستعدادهم؟ فإنشاء مدرسة متوسطة للبحار يفيد هذه المنطقة بدلاً من تركهم على الفطرة التي ستنتهي بهم إلى الزوال كثروة بحرية قامت منذ زمن على تجارب وأسكنها حقيقة . ثم هؤلاء أكثر ثباتاً واستعداداً لصناعة البحر من عناصر تأتي بها . إلى صفوف البحرية من أهالي البلاد الداخلية بينما تترك الذين خلقوا ليجوبوا البحار وكانوا من سلالة شعب بحري لعب دوراً في التاريخ وله وقفات في معارك الحروب الصليبية .

وما يقال عن هؤلاء يمكن أن نقوله عن الفلاحين الزراعيين .

إن المدارس الزراعية الأولية والمتوسطة الزراعية التي تخرج المختصين لتربية أشجار الفاكهة والعناية الفنية بالماشية أو بالفنون الميكانيكية أجدى علينا من عشرات المدارس الأولية التي لا تعلم شيئاً والتي انتهت إلى أن تكون باباً للرزق وللاستيلاء على جزء كبير من الأمة في حالة تعطل

إن حاجات البلاد ظاهرة واضحة والشباب المصري من قوة الملاحظة والاستعداد الشخصي ما يمكنه من اتقان الدراسة الفنية التي تلائم البيئة وتدفعه إلى العمل لترقية الصناعة والزراعة وموارد بلاده والمساهمة في نقلها إلى القرن العشرين

إن السياسة التعليمية التي ترتكز على الاستقرار والثبات هي التي تدفع بالإنتاج المصري إلى أعلى ولا تقف مكتوفة الأيدي تهبط به إلى أسفل ، والتي تجعل من أول أهدافها عظمة البلاد وتقدمها ، والتي تخلق جيلاً يعمل بيده ولا يخجل من ذلك ، لأن العمران والتقدم في هذا العهد الشاذ من أهم ما يحمل رسالة الجيل الناشئ .

إننا نواجه كل يوم مشاكل الطوائف وهي مشاكل ترجع إلى أن خريجي المدارس المتوسطة في الهندسة والزراعة ينظرون دائماً إلى المساواة مع خريجي المدارس العالية ، يعوزون أن تقدر مستواهم كل طائفة .

فالميكانيكي الذي يخرج من المدرسة لا يعتقد أن مهنته شريفة ولا ينظر إلى أنه يؤدي رسالة الوطن إذا وقف وسط الشارع ليشرف بنفسه على تنظيم المرور ، انه يلتمس الأعذار لكي يتولى عملاً ادارياً ، وأرد كل هذا إلى أسس النظام في مدارسنا .

وما يقال عنه يصدق على كل عمل يتولاه فريق منا خصوصاً أبناء المدارس المتوسطة ، أنهم ينظرون إلى الوظائف وإلى تسمية الشهادات قبل أن ينظروا إلى عظمة ورسالة المهنة التي يحترفونها .

انني لا أستطيع أن أسلم بنجاح وتقدم أي سياسة انتاجية سواء في التصنيع الزراعي أو الآلي وسواء في تنسيق الزراعة المصرية على الأسس الحديثة وزيادة غلة الأراضي وهي قابلة للزيادة بشكل لا يمكن تحديده ، إذا لم ندعم هذه النهضة الإنشائية الإنتاجية — سياسة التعليم — تلائم الأوضاع القائمة في مصر ، وتعمل على مد هذه النهضة بعناصر البقاء والاستمرار والتطور وهي ثلاثة : في إعداد مجموعة من العمال الصناعيين والزراعيين المحنكين — إذا استعرنا الاصطلاح العاطفي — لا يقلون في تفكيرهم عن أي مجموع أوربي أو أمريكي .

وفي تهيئة مجموعة من الموظفين الإداريين والمهندسين المختصين لهذه الأعمال يعملون بإخلاص .

إن حركة الصناعة لا تزال في دورها التمهيدي والتحضيري ، وكذلك الإنتاج الزراعي المصري لا يزال متخلفاً عن غيره بل لا نبالغ إذا قلنا أنه لا يزال بدائياً .

وأكبر ما يؤخر نهضة البلاد هو أننا لا نزال نسير على غير هدى في التعليم ؛ والسياسة التعليمية الراسخة الثابتة هي التي تخرج طبقات الأمة العاملة المنتجة التي تعرف كيف تجعل من قلم قوة ثائرة منظمة لتقطع مراحل التخلف التي تركتنا فيها الأجيال التي تقدمتنا . ومن حقنا أن نقول إنها سارت على غير هدى وكانت متعثرة في نهضة البلاد وخانت تركة مجد الأجيال .

أحمد رمزي

من الحوادث الأدبية

يهرب من الحج

للأستاذ محمد سيد كيلاني

لما عزم الخديو عباس على أداء فريضة الحج في شتاء سنة ١٩٠٩ قرر أن يصطحب معه فيمن يصطحبه من خاصته شاعره الكبير أحمد شوقي. ولكن الشاعر كان في سريرته لا يرغب في أداء هذه الفريضة المقدسة ولم يستطع أن يصرح للخديو بذلك. فتظاهر بالموافقة وركب القطار مع أفراد الحاشية حتى إذا وصل الركب القطار إلى بنها غادر شوقي القطار خفية وانسل من بين الحاضرين دون أن يشعر به أحد، وذهب إلى منزل أحد أصدقائه ببنها وقضى فيه مدة من الزمن ثم رجع إلى القاهرة. وأخذ الخديو وأفراد حاشيته يتفقدون شوقيا ولكن على غير جدوى. فلما رجع الخديوي من الحجاز وسأله عن السر في ذلك أجاب: كل شيء إلا ركوب الجمال بالبادية. وهذا عذر ضعيف يدل على استهتاره بأداء الفرائض الدينية التي من بينها الحج. ولم يكن شوقي أكثر ترفا من بقية الحاشية. فإذا كان الخديو عباس تحمل مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي؟ بل إذا كانت أم المحسنين وسنها ما سنها تحملت مشاق السفر فكيف عجز عنها شوقي؟ الحق أنه تعلل هربه من أداء فريضة يصبو إليها كل مسلم ومسلمة لا يدل على شيء سوى استهانة بأمر الحج. وشوقي كان إذ ذاك في ريعان شبابه تلوح عليه نضرة النعيم. وكان يذهب مأخوذا بالطرق الحفلات الساهرة الراقصة حيث الكأس والطاس وغير ذلك مما لا داعي لذكره. ولم يمنعه من هذه الحفلات ضعف فكيف قعد عن أداء تلك الفريضة؟ وأي عذر اعتذر؟ وما قيمة أعذاره من الصحة؟ قال للخديو: كل شيء إلا ظهور الجمال بالبادية. وهذا ليس بعذر مقبول لأننا نعلم أن الشاعر كان يركب ظهور الخيل في القاهرة ويقطع بها مسافات طوالا. ثم إن سكة حديد الحجاز كانت قد افتتحت في ذلك الوقت وكان الناس يستقلون قطاراتها إلى المدينة. فلم تكن المسافات التي كان من المقرر أن يقطعها الشاعر بالجمال سوى تلك التي بين جدة ومكة والمدينة. ثم إن الركب الخديوي كانت به وسائل الراحة التامة. فنرى من ذلك أن هذا العذر لا يصح أن يقوم دليلا على عجز الشاعر عن تأدية الفريضة.

وهو يتمنى أن تكون هناك سيارة أو طائرة تقرب إليه البعيد وتسهل أمامه السبيل. قال:

ويارب هل سيارة أو مطارة ... فيدنو بعيد البيد والفلوات

ولكنه هو القائل قبل ذلك في الطائرة: «أركبها اللبث ولا أركبها» أما السيارات فقد أدرك عصرها. ولكنه لم يستغلها لأداء الفريضة.

والآن بعد أن ناقشنا هذه الأعذار ورأينا أنها متهافتة وأن الشاعر أتى بها ليبرر استهانته بالحج، ننتقل إلى أبيات من قصيدته التي مدح بها الخديو عباسا عقب عودته من الحجاز والتي مطلعها

إلى عرفات الله يا ابن محمد ... عليك سلام الله في عرفات

أما الأبيات التي نريد أن نقف عندها فهي

ويارب هل تغني عن العبد حجة ... وفي العمر ما فيه من الهفوات

وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر ... ولم أبغ في جهري ولا خطراتي

ولا غلبتني شقوة أو سعادة ... على حكمة آتيتني وأناة

ولا جال إلا الخير بين سرائري ... لدى سدة خيرية الرغبات

ولا بت إلا كابن مريم مشفقا ... على حسدي مستغفرا لعداتي

ولا حملت نفس هوى لبلادها ... كنفسي في فعلي وفي نفثاتي

وإني ولا من عليك بطاعة ... أجل وأغلي في الفروض زكاتي

أبالغ فيها وهي عدل ورحمة ... ويتركها النساك في الخلوات

هذه الأبيات وليدة هربه من الذهاب إلى الحجاز. وفيها يبرر عزوفه عن أداء فريضة الحج بمبررات واهية ضعيفة لا تستقيم مع أحكام الدين الحنيف ولا تنهض حجة أمام رجل حريص على أركان الإسلام، محترم لشعائره التي منها الحج. فلا خشية النفس ولا حب الوطن، ولا الإشفاق على حساده ولا الزكاة ولا أي شيء مما ذكره يغني عن الحج ويقوم مقامه. فشوقي في هذه الأبيات يستوحي العقل ويحتكم إليه ضاربا بأحكام الشريعة الغراء عرض الحائط.

والشيء الذي لا مراء فيه أن شوقيا كان مهملا الفرائض الدين

أستاذ الدعاة وزعيم المصلحين

شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٢ -

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

مرباه :

عاش ابن تيمية في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع ، وقد مس العالم الإسلامي بكارثتين عظيمتين ، لولا متانة أركانه لأتت عليه : الكارثة الأولى هي الحروب الصليبية ، والثانية : هي الغارة التترية البربرية ، وفي هذه المدة كانت الحروب الصليبية قد انتهت ، وجاءت غزوات التتر تكثر وتشتد وتتنوع حتى عمت العالم الإسلامي .

ورأى ابن تيمية كل ذلك ، وشاهد هذه الاغارات ، وما كان في طوق مثله أن تمر عليه هذه الأحداث ولا يلتفت إليها بالا كغيره من دهاء هذا العصر الذين شغلتهم مناقشات لفظية لا طائل تحتها ؛ وهو العبقري الذي علقت روحه في أنه يذود إلى أقصى حدود القدرة عن الاسلام والمسلمين ، ويذود إلى أقصى حدود التوحيد في العقيـــدة مع كل ما يشيع حائبن المسلمين من ترابع .

انغمس ابن تيمية في تيار السياسة الاسلامية لأنه رأى أن حال المسلمين لن تستقيم . ما دامت سياستهم معوجة والاسلام عنده دين ودولة ؛ وأبرز جوانبه السياسية العملية هي مغامراته للحض على الجهاد ومباشرته الجهاد بنفسه ؛ فكان دائب الحركة ، يذهب إلى الأمراء والسلاطين ، يستحثهم على الجهاد في سبيل الله فيوما في مصر ويوما في الشام ، ويوما مندهشا الأمير ويوما متقدما ليذكي روح الجاهدين القواد والجند ؛ يقف

عنها الزكاة . لم يعرف عنه أنه دخل مسجدا أو صام يوما يكفر من سيئاته ويخفف به أوزاره . وكان في حياته ماجنا خليعا متورطا في شرب الخمر مرسلا نفسه على سجيتها . ولو أن شوقيا نشأ في وسط حر طليق كواحد من عامة الشعب لظهر أثر الخلاعة والمجون في شعره بشكل فاضح لايقل عما وصل إليه شعراء الخلاعة والمجون في العصر العباسي . ولكنه نشأ في وسط رسمي ارستقراطي فكان شاعر الخديو ومادح السلطان عبد الحميد أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين . لذلك اضطر أن يضع حدا فاصلا بين حياته كفرد وحياته كشاعر .

فقد كان ينظم القصيدة - وهو ثمل - فلا ترى فيها غير البكاء على مصائب الإسلام والمسلمين والدعوة إلى النهوض والاتحاد تحت لواء الخلافة والحث على التمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق حتى لتحس كأنك أمام واعظ يهدي إلى سبيل الرشاد . كان يفعل هذا عقب انصرافه من مجلس خمر أو خلوة ينهتك فيها لاحشمة .

فشوقي الشاعر من الدعاة إلى الحجاز لم يكن سببه الضعف ولكنه كان حلقة من حلقات إجلاله لفرائض الإسلام . أما الزكاة التي يتحدث عنها الشاعر ويقول إنه يبالغ في أدائها فهي أيسر الفرائض على أمثاله من الأغنياء ، إذ لم يكن يتكلف فيها مجهودا ومبالغته في الزكاة ترجع إلى سبب نفسي هو اعتقاده بأن هذا

العمل يعفيه من تأدية الفرائض الأخرى ، ويجعل كفة حسناته ترجح كفة سيئاته ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ولا فائدة لنا من مناقشة هذا الرأي وإظهار فساده .

على أن هرب شوقي من أداء فريضة الحج قد دفعه إلى نظم قصيدتين أجاد فيهما إجادة تامة . أما القصيدة الأولى فهي الهمزية النبوية ، وأما الثانية فهي نهج البردة . وقد عني في هاتين القصيدتين بالرد على أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين . ومثال ذلك قوله حاكيا بعض المستشرقين

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا   لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

ورد على هذا الرأي بأبيات منها

جهل وتضليل أحلام وسفسطة   فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
من السجية النكراء كم ربت   بالصاب من شهوات الظالم الغلم
لولا حماة لها هبوا لنصرتها   بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

ثم أخذ بعد ذلك ينفي موضوع الصلب ويرفع من شأن الإسلام والمسلمين ويتغنى بماضيهم المجيد . والقصيدتان بالرغم مما فيهما من المحاكاة والتقليد تمتازان بظهور الطابع الحديث عليهما ظهورا تاما وبحماسة العزة .

محمد سيد كيلاني

في المعركة فتارة يصول بسيفه، وأخرى يشجع القائد ويثبته ويبشره ويظهر للناس فضل الجهاد ويحثهم عليه. هو قائد ملهم، يحارب في فتح «عكا» حتى يقال إنه عشر رجال وشد تحتهم المسلمون.

يقتحم التتار بقيادة «قازان» ملك التتار حينذاك - دمشق - ويعلم ملك الكرج، وهو أعدى أعداء الإسلام بذلك فيبذل لقازان القنطار كي يمكنه من المسلمين في «دمشق»، ويعلم الشيخ بذلك، فيثور ويهب يبث الحماس في نفوس المسلمين، ويشجعهم ويمنيهم بالنصر والظفر؛ ويروح يجمع الكبراء والوجهاء للذهاب إلى قازان، وهنا تتجلى قوة الشيخ وشجاعته التي قل نظيرها في التاريخ

- تقدم الشيخ الجماعة؛ فلما حضروا مجلس قازان وقدم الطعام، رفض الشيخ أن يأكل دون الجماعة، فقيل له: لم لا تأكل؟ فقال الشيخ: «كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس..!!».

... يجلس الشيخ.. فكان يقرب من قازان سلطان التتار وخليفة جنكيز خان، حتى تكاد ركبته تلاصق ركبته.. ويتكلم الشيخ فيعلو صوته على صوته؛ ويدهم كل قائد. كان قازان مصغياً إليه مقبلاً عليه، وأخذ الشيخ يحدثه في كيف يسلط ملك الكرج على المسلمين، والمسلمين حرمة، ودمهم حرام، وأشد في وعظه وتذكيره وكان قازان قد أسلم، وهو أول من أسلم من سلاطين التتار وطفق الشيخ يخاطبه بعنف وثبات أدهش قازان وأرهبه.. يقول الشيخ له «أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون - على ما بلغنا - فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا ما عملت، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت وجرت».

رهب قازان هذا الشيخ الجريء المهيب فسأل: من هذا الشيخ فإني لم أر بين العلماء مثله، ولا أثبت قلبا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، وما رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه فدل على مكانة الشيخ وعلمه، وقد أجاب قازان الشيخ إلى ما طلب، فحقنت دماء المسلمين.

ولما هم بالانصراف طلب قازان منه الدعاء.. فقال الشيخ في دعائه: «اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجاهد في سبيلك، فأن تؤيده وتنصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فأن تفعل به وتصنع».. فكان يدعو عليه وقازان يؤمن على دعائه [يلاحظ أن التخاطب بينهما كان عن طريق المترجم] وخاف من كان معه، واضطربوا حتى أنهم كانوا يجمعون ثيابهم خوفاً من أن يقتل فيطرطش بدمه.

وفي عام ٧٠٢ه رجع قازان للاستيلاء على الشام؛ فطار الشيخ على البريد إلى مصر واجتمع بأركان الدولة وحثهم على الجهاد، وحض عليه، ودعا الناس إليه، وأخذ يخطب في مصر مذكرا الناس بالجهاد وفضله، وبما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث.

رجع الشيخ إلى دمشق.. ولكن معه جيش من الغزاة المجاهدين؛ لملاقاة الأعداء الذين تجمعوا جماعات تحدث على النيل من المسلمين.. ولكن الله حاربهم بالثلج والبرد والريح العاصف، فأعاق ذلك كله قازان وجنده، فانصرفوا خائبين.. فأرسل الشيخ يقول: إن الله صرف العدو بثبات قلوب المسلمين وصدق نيتهم.

وفي سنة اثنتين وسبعمائة، كانت موقعة «شقحب» المشهورة بين التتار والمسلمين، وكانت موقعة فاصلة تعد من المواقع الحاسمة في التاريخ الإسلامي، وتعتبر كموقعة «عين جالوت» من حيث الأهمية، فالنصر يزيل الغمة، والهزيمة تورث الذلة.

وحشدت القوات الإسلامية، وحضر الموقعة السلطان الناصر والخليفة، وكان ابن تيمية القائد الأكبر المجاهد في العالم الإسلامي فكان يحض الناس ويحثهم ويستنفر الأمراء والعساكر، وما اكتفى بالدعوة للجهاد، بل حضر الموقعة، وجاهد بسيفه في الصفوف الأمامية، وطلب الاستشهاد ففر منه الموت، يسأل الشيخ الشجعان، ويجزع السلطان الناصر والخليفة إلا ابن تيمية، فهو ثابت واثق من نصر الله، يمدهما بنصره، ويأمرهما بالتوكل عليه.

وتنكشف الغمة، وينصر الله المسلمين على عدوهم، ويذيع خبر شجاعة الشيخ بين المسلمين وجهاده، ويزداد الناس من الالتفاف حوله، والتبرك به، ويكثر أتباعه، ويطريه القوم، ويمدحون شجاعته، فيقول لهم متواضعاً «أنا رجل ملة لا رجل دولة».

وكان هناك.. خطر يرى أعظم من خطر التتار والصليبيين في قلب العالم الإسلامي ذاته: هو خطر هذه الطوائف السرية التي ظهرت من قبل ذلك، والتي كان من بين أنصارها «الدولة

الباطنية ، وكم نال هؤلاء من الإسلام والمسلمين ، فتارة يقتلون الحجاج ، ويرمونهم في بئر زمزم ، وأخرى يأخذون الحجر الأسود ويبقى عندهم مدة . وكانت هذه الحركات تبدو تحت أسماء مختلفة ، كالاسماعيلية والقرامطة الباطنية والنصيرية [١] .

وكان أهل جبل كسروان في الشام ، من هذه الطوائف ، وقد استفحل خطرهم ، فخرج الشيخ إلى هذا الجبل لقتالهم ، وكتب إلى أطراف الشام في الحث على قتالهم ، وأنهم غزاة في سبيل الله .. ثم ذهب ، ومن معه من الرجال ، ومعهم ولي الأمر نائب المملكة إلى الجبل للزوم واستمروا في حربهم وحصارهم ، حتى فتح الله الجبل ، وأجلوا أهله ، وكتب ابن تيمية إلى السلطان يخبره بالفتح ، وأنهم قوم أكفر من اليهود والنصارى ، يعتقدون في عصمة علي ، وكفر الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يقرون بصيام ، ولا صلاة ، ولا جنة ، ولا نار ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير .. وغير ذلك .

وبالطبع ، كان لابد أن يوجس أولو الأمر منه خيفة ، ويراقبوه ، لأن قلوب الناس كانت معه ، فلو طلب الملك ما بعد عنه ، وأتباعه في كل مكان كثيرون . ولعل هذه الأسباب السياسية تبرر ما نال الشيخ من اضطهاد لأسباب دينية تتعلق بالعقيدة ، وتدخل أولو الأمر فيما اعتوره من حبس وإطلاق ، واعتقال وفكاك . ويتضح ذلك مما جرى بينه وبين السلطان الناصر ، رغم إكبار الناصر للشيخ .

وفي عهد السلطان الأعظم الملك الناصر ، في حق ابن تيمية خاطبه السلطان ، ولما حضر بين يديه قال من جملة كلامه معه : إني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وأن في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث الشيخ وقال بجنان ثابت ونفس مطمئنة ، رغم أنه لا يدري أيخرج من هذا الموقف ، ورأسه فوق جسمه أم فوق النطع : « أنا أفعل ذلك !! والله إن ملكك وملك التتر لا يساوي فلسا عندي » فتبسم السلطان وقال بعلالة : إنك والله لصادق »

دعوته وآثارها :

كان ابن تيمية نسيج وحده في دعوته ، وكانت دعوته دعوة فريدة بين الدعوات الإسلامية أيضا . كان من الضروري وجود ابن تيمية على أرض هذه الدنيا الإسلامية ، بعد أن تغيرت أشياء في جوهر العقيدة ، وبعد أن وجدت فرق ، وتعددت دعوات ، وكلها لم تجعل كتاب الله وسنة نبيه إمامها ، بل سلطت التأويل على الكتاب والسنة حتى تغيرت الآيات بتغير التفاسير والتأويلات ، فكان من عناية الله أن أرسل هذا العبقري الذي رجع بدينه إلى حقيقته الأولى وبساطته ، وأوضح ذلك بكتب خالدة . فكانت عقيدة ابن تيمية توحيدا خالصا ، غير مشوب بشرك على أي صورة كانت ، واستمادة لبساطة الدين ويسره .. كل ذلك في حدود الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ، ولقد كان ابن تيمية في التفسير إليه المنتهى ، وفي الحديث لا يلحق ، ويشهد على ذلك كتبه في التفسير والحديث .

عاش ابن تيمية ، في عصر شاعت فيه الخرافات عند العامة ، واستحكم فيه الجمود عند العلماء ، وذاع فيه التقليد بين الفقهاء . وكم كان سد باب الاجتهاد نكبة على الإسلام والمسلمين ، وكم كان سببا في عدم انطلاق الذهنية الإسلامية ، في طريقها الذي اختطته وكم وقف سدا حائلا بينها وبين التطور والارتقاء ... فأتى ابن تيمية يدعو إلى أن الاجتهاد غير مقصور على الأئمة السابقين ، بل إنه باب مفتوح لمن استجمع شروطه المقررة . وكان هو نفسه مثالا المجتهد المطلق ، فليس شرطا لازما أن لا يحيد الإنسان عما قاله الأئمة الأربعة مادام سنده الكتاب والسنة ، ويؤيده العقل الراجح .

ولقد كان ابن تيمية لا يتقيد في فتاويه بمذهب من المذاهب الأربعة ، ولا رأي إنسان أيا كان ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه . وعنده أن من خالف الإجماع فيما لم يرد فيه نص ليس بكافر ، وباب الاجتهاد مفتوح لمن حصل أدواته ، وما كان ابن تيمية ناسيا بل كان يستعين بالقياس فوق ذلك .

* * *

تنحصر دعوة ابن تيمية التي جاهد واضطهد من أجلها ، في

---

[١] ص رسالة الرد على النصيرية في « مجموع رسائل » تأليف ابن تيمية طبعة الخانجي سنة ١٣٢٣

مبدأين اثنين ، ، الأول : إفهام الناس حقيقة معنى «لا إله إلا الله» فلا يعبد ولا يدعى إلا الله ، ولا يعمم ولا يضر إلا هو ، ولا يملك أحد من أمور العباد شيئاً ، فلا نبي ولا ولي ولا شيخ يملك من أمر العباد مثقال ذرة ، ولا يقصد بحاجة إلا الله ، ولا يستغاث إلا الله

والثاني : محاربة كل ما كان سببا في ضعف المسلمين ، فجاهد في السياسة ، وهاجم الأشياء التي كانت سببا في فرقة المسلمين ، ودعا إلى نبذ ما جعلهم شيعا وأحزابا ومن هذه الناحية كانت عداوته للفاسفة التي علمت الناس الجدل الذي ذهب بريح المسلمين ، وكون منهم معتزلة ، ومشبهة ، ومجسمة ، ومتصوفة وملاحدة ، . وغير ذلك من الفرق ، ولهذا أيضا ، كانت مهاجمته للفرق الإسلامية بلا استثناء .

ونحن لا نريد أن نعرض إلى آراء ابن تيمية تفصيلا ، فإن ذلك يقتضينا جهدا كبيرا ، وإنما نريد أن نعرض إلى النواحي التي امتاز بها ابن تيمية ، والتي كانت سببا فيما طعنه . الناس من أمره ، والتي لولاها مانال من اضطهاد مانال ، وبخلود ذكره . وهي ثلاثة أشياء . نعمها عليه الناس ، الأول : قوله ، في زيارة القبور ، والثاني : اتهامه بالتجسيم ، والثالث : إفتاؤه في مسألة الطلاق .

أرسل الله الرسل لنعبده ، لا نشرك به شيئا ، فلا يدعو أحد أحدا غير الله « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض … ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير » « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » فعبادة الله وحده ، هي أصل الدين . . . وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب .

فالذهاب إلى قبور الأنبياء والتمسح بها ، والتضرع على أعتابها شرك صريح ، وزيارة المشاهد الدينية والسفر إلى المقابر حرام ، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا ، . ولا تبنى المساجد على القبور – لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (يحذر ماصنعوا) ١ – وإن بنيت فلا يجوز فيها الصلاة . والخلاصة :

١ مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٢

أن زيارة القبور إذا كانت بمواعيد ومراسيم ورحلة فهي حرام ، أما زيارة قبر المسلم بقصد العظة والاعتبار فلا شيء فيهما ، وأما مايفعله العامة من تعظيم القبور ، والتمسح بها ، وإن كان ذلك بقبر الرسول فهو شرك يستتاب صاحبه وإلا قتل . . وأولياء الله هم المتقون المؤمنون « ومن اعتقد في بشر : أنه إله أودعا ميتا ، أو طلب منه الرزق والنصر والهداية ، وتوكل عليه أو سجد له ، فإنه يستتاب . فإن تاب وإلا ضربت عنقه » . وما ابن تيمية ببدع في دعوته هذه ، فقد تابع فيها للأخص والعشى ١ .

اتهم ابن تيمية بالتجسيم ، حتى أن « دائرة المعارف الإسلامية » تقول : إنه كان مسرفا فيه ، ولذا كان يفسر الآيات حرفيا . وما كان ابن تيمية مجسما ، وهو الذي حارب المجسمة والمشبهة والمعطلة بل أراد أن يحطم هذا الجدل الذي سبب الفرق بين المسلمين . . فمن قال أن ماورد في الكتاب من نحو : يد الله ، ووجه الله وعرش الله لايؤخذ على ظاهره بل يؤول ، وقابل به الناس بين ناف لصفات الله ، ومثبت لها : . . كل ذلك جعل ابن تيمية يرجع بالعقيدة إلى نقائها الأول الذي لا تعقيد فيه ؛ ويدعو إلى عقيدة السلف رضوان الله عليهم . . فكان يكره التأويل ، مباعدا في الإثبات بما ورد في الكتاب والسنة ، مؤمنا بالمتشابه من الآيات ، بريء من التشبيه والتجسيم والتمثيل : . « فالله فوق عرشه . معنى حق ، لايحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ؛ والله فوق سمواته على عرشه على خلقه رقيب عليهم ، فعقيدته « الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل » .

أما مسألة : الحلف بالطلاق التي خالف فيها الأئمة الأربعة فهي كأن يحلف رجل بالطلاق ثم يقع يمينه فيكفر عنه كأي يمين عادية ، ولا يعد طلاقا ؛ وذلك مثل : لو أن رجلا حلف على أخيه بالطلاق أنه لن يعطيه هذه الحاجة . . ثم أعطاها له ، فإن طلاقه لايقع ، لأنه ربما امتنع من إعطائه ذلك لسبب . . ثم قال : أو فعل ذلك ناسيا ، أو متأولا ، أو حلف بذلك من أجل صفة . . ثم تبين خلافها فعنده أن الطلاق الثلاث لايقع .

١ راجع مقدمة صحيح البخاري للأستاذ عبد الجليل عيسى أبو النصر ص ٢٠

وقد دعا ابن تيمية إلى مهاجمة المسيحية واليهودية ؛ لأن الإسلام إنما أتى ليحل محلهما ، وقد أوقف على ذلك أربعة كتب وهى (١) « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » (٢) « تخجيل أهل الإنجيل » (٣) « الرد على اليهود والنصارى » [راجع رقم ٢٠٨٤] (٤) « الرد على النصارى » (فهرس المتحف البريطانى رقم ٨٦٥ ، ٦) .

وقد خالف ابن تيمية الفقهاء فى مسائل كثيرة وقال فيها برأيه . وقد ذكر صاحب « الكواكب الدرية » له خمسة عشر قولا مما خالف فيها ابن تيمية الإجماع ، أو الأقوال المشهورة . وقد قالوا إنه طعن فى رجال يعتبرون حجة فى الإسلام كعمر وعلى ، ولكنه فى الحقيقة لم يطعن فيهم ، بل طعن فى الغلو بتعظيمهم بحيث يضاف إليهم من الأفعال مالا يضاف إلا إلى الله ، كما فعلت الشيعة مع على بن أبى طالب » . . وقد هاجم ابن تيمية الفلاسفة والمتصوفة عموما . . وهو يكفر الاتحادية وابن العربى خاصة .

وابن تيمية زعيم « الإصلاح الاجتماعى الدينى فى الإسلام غير مدافع ؛ فهو شيخ المصلحين الاسلاميين على الطلاق وإمامهم

فلقد أثر ابن تيمية فى علماء عصره ، ومعاصريه ، ومن جاء بعده منهم من الأتباع ، وحسبنا أن الهيئة هو ابن قيم الجوزية »

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر ظهرت الدعوات الإصلاحية فى الاسلام ؛ فظهر « محمد بن عبد الوهاب » فى الحجاز ، زعيم المذهب الوهابى ، وما كان محمد بن عبد الوهاب إلا مبعوثا لحاجة رسالة ابن تيمية واستمرارا لدعوته . . وقد عرف ابن عبد الوهاب الشيخ من طريق دراسته الحنبلية ، لأنه كان حنبلى المذهب وكذلك كان ابن تيمية ، وقد اتصل ابن عبد الوهاب بعلماء دمشق الحنابلة منهم ، وشغف بابن تيمية ، وشغل بدراساته وأعجب به . يقول « محمد ابن عبد الوهاب » . . ولقد هاجم ابن عبد الوهاب

١ راجع فى ذلك الرسالة الأخيرة من « مجموعة الرسائل » ص ١ ، وأيضا الرسالة الأخيرة من « مجموع رسائل » لابن تيمية ص ١ .

ودعا بدعوته . وفى المتحف البريطانى بعض رسائل ابن تيمية الأولياء والشافع والتبرريين ، مثل أستاذه . ودعا إلى هدم الأضرحة ، وإلى التوحيد الخالص ، وإلى فتح باب الاجتهاد ، كما فعل أستاذه تماما ، ومن جراء ذلك رمى ابن عبد الوهاب كما رمى أستاذه بالكفر .

ولقد كانت دعوة ابن عبد الوهاب التيمية ، بدءا لدعوات الإصلاح الدينى فى الشرق الإسلامى ، فقد تأثر بهم دعاة الإصلاح فى الشرق الإسلامى . . ونادوا بالإصلاح الدينى وفقا لدعوة الرسول مع اختلاف الدعوات باختلاف الأمة والأقطار ، ولكن جوهر هذه الدعوات هو الإصلاح الذى وضع أسس سيادته ابن تيمية .

فظهر فى المغرب الشيخ أبو العباس التيجانى ، والإمام السنوسى ؛ وفى مصر الشيخ محمد عبده ، وفى اليمن : الإمام الشوكانى . . العلامة الفاضل الذى دعا بدعوة ابن تيمية وشرح كتابه « نيل الأوطار » ، ... ولقد أوذى هؤلاء جميعا لا يشيب عن الأذهان . وفى الهند أخذ الدعوة الوهابية ، الزعيم الهندى الوهابى « السيد أحمد (١٧٨٢ – ١٨٣١) – وهو غير الزعيم الهندى « السيد أحمد خان (١٨١٧ – ١٨٩٨) – أثناء حجه إلى البيت الحرام وقد نشر الدعوة الوهابية فى الهند ، ولاقى الإنجليز منه الأمرين .

هذا – وإن تكاد دعوة إسلامية يريد دعاتها الاصلاح الدينى حقيقة من الرجوع إلى دعوة ابن تيمية ومبادئها

وقد وصلنا من كتب ابن تيمية ٦٤ مؤلفا ، بين رسالة وكتاب ؛ وقد طبعت له تسع وعشرون رسالة فى القاهرة سنة ١٣٢٣ تحت عنوان « مجموعة الرسائل الكبرى » . وجل كتبه مطبوع عدا بعض رسائل متفرقة فى مكتبات أوروبا . ١

١ راجع دائرة المعارف الإسلامية

عبد الجليل السيد حسن

حول مقال

محمد رشيد رضا

لصاحب الفضيلة الأستاذ حامد محيسن

قرأت بإمعان مقالة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى ، في مجلة الرسالة الغاشة « في ذكرى عالم ومصلح » هو السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار رحمه الله فعنت لي ملاحظات أحب أن أسجلها للقراء على صفحات الرسالة . وإن كانت هذه الملاحظات لا تبخس الكاتب قدره ، بل إنما تدفعنا إلى أن نضاعف شكره .

وأهم هذه الملاحظات هي :

أولا : أخذ الكاتب الأفكار التي دونها في مقالته من كلمة الشيخ الزنكلوني في حفلة تأبين السيد رشيد رضا التي أقيمت بدار الشبان المسلمين عام ١٩٣٦ ، وكنت حاضرها بصحبة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، وكانت الحفلة برئاسته ، وقد نشرت كلمة الشيخ الزنكلوني في الصحف كلها حينذاك ومنها المنار (عدد ٢ إبريل عام ١٩٣٦ ميلادية) وهو تحت يدي الآن . وقد ألقاها بالنيابة عنه في الحفلة فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، وإن شئت فاستمع لهذا الاتفاق الظاهر !

قال المرحوم الشيخ الزنكلوني في أسلوب ساحر أخاذ : « طلاب الشيخ — محمد عبده — جميعا كانوا يغترفون من بحر واحد ، وإن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم » ، فقال الكاتب : « بالرغم من كثرة المستمعين للشيخ محمد عبده ، وتفاوت درجاتهم في الذكاء والتحصيل ؛ فإن أحدا منهم لم تتمثل فيه آثار الشيخ أقوى مما تمثلت في السيد رشيد » فكانوا على ضروب وأنواع — ثم أورد حديثا للبخاري وقال إثر ذلك — كذلك كان تلاميذ الشيخ محمد عبده : منهم من لم ينتفع في نفسه ، لأنه جدب الطبع ، سبخ التربة ؛ ومنهم من نفع غيره ، فنقل مبادئ الشيخ لغيره ، وإن كان هو لم ينتفع بها ، أو قل انتفاعه » ومنهم من انتفع في نفسه ونفع غيره الخ » . فالفكرة هي الفكرة

ولكن الشيخ الزنكلوني عرضها عرضا سلبيا ، من حيث ألقب الأستاذ ، وذكر حديث البخاري دون مناسبة ، وقاس أصحاب محمد عبده بأصحاب الرسول الأعظم ، وأخطأ في عده من لم ينتفع بدروس محمد عبده ولم ينفع غيره نوعا من أنواع تلاميذ الإمام . ولا ندري معنى تعبيره في هذا المقام بقوله : « لأنه جدب الطبيع سبخ التربة » ؛ وبقوله : ضروب وأنواع » .

وقال الزنكلوني : « كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوي ، وشخصية بارزة ، امتد صوتها إلى الأقطار العربية والأقطار الشرقية ، بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الأمم التي ليست شرقية ولا إسلامية الخ » . فقال الكاتب : « اتخذ من المنار منبرا يدوي منه صوته في جميع بقاع الأرض في جاوة وسومطرة والهند والصين شرقا إلى أوربا وأمريكا غربا » .

وقال الزنكلوني : « ولما هوجم الأستاذ الإمام في آرائه الدينية والإصلاحية أخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه وينشر في مجلة المنار آراء أستاذه واتجاهاته وكان يتلقاها من دروس شيخه ، وما كان يملي عليها بمبادرات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر » . فقال الكاتب : لم يكن هذا التلميذ — السيد رشيد — مسجلا لأفكار شيخه فحسب ، بل كان مع ذلك مناقشا وممحصا وموجها » . وقد أراد الشيخ أن يعبر عن كلمة الزنكلوني : « اتجاهاته » ، فقال : « موجها » ، فأخطأ فهم ما أراده الزنكلوني ، كما أخطأ التعبير عنه ، فهل كان السيد رشيد موجها لأستاذه ؟ كلا ، أو هل كان موجها الجمهور بعد موت أستاذه ؟ كلا ، لأن العبارة الصحيحة من ذلك أن يقال : « كان يناقش آراء أستاذه ويمحصها ويوجه الجمهور إلى هداها » مثلا .

وقال الزنكلوني عن السيد رشيد : إنه كان من الأفذاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم » وأمثل أكبر شاهد على ذلك أن مهمة السيد رشيد لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين . فقال الكاتب : « كل ذلك كان يقوم به وحده ، حقا إن السيد محمد رشيدا أمة ، وغير ذلك من صنع رجل واحد ، فإنه عندما جاور ربه حاولت هيئات كبيرة وجماعات محترمة أن تخرج للناس مجلة تسد فراغ المنار فلم يستطع

أحد منهم على كثرتهم » . وفي العبارة رغم ذلك قلق واضطراب كثير .

وقال الزركلوني : وكان آخر آية فسرها من سورة يوسف وقف على آخر تفسيره لها قوله تعالى : رب قد آتيتني من الملك الخ . فقال الشيخ عبد الجليل مخاطباً السيد رشيد : ألم يكن من علامات قبولك أن آخر آية من كتاب الله سطرت شرحها بقلمك هي قوله تعالى : رب قد آتيتني من الملك الخ .

ثانياً : وتصور القالة رجال كبار علماء الأزهر بمحاربة السيد رشيد ومعاداته ، وإن شئت فاستمع قوله : كنت أعلم أن كثيراً من علماء الأزهر خصوصاً الكبار منهم كانوا يحيطون السيد رشيد بهالة من الشك في تدينه ، ورغم أنهم لم يجالسوه أو يختبروا علمه أو حتى يكلفوا أنفسهم قراءة كتبه ، ثم يذكر قصة ثلاثة من كبار علماء الأزهر تحايل كما يقول عليهم حتى ذهب يوم الدار وجددوا مناقشه ومناقشتهم ، فأنكره البعض وعرفه الآخرون ، ويقول الكاتب أيضاً ، وكان السيد رشيد يحارب في ميادين أخرى علماء عاملين مقتدرين الخ .

أليس في ذلك ظلم للتاريخ ، وجور على العلماء الذين عرفوا السيد رشيداً وأحبوه وشجعوه وأساطوه بالإكبار ؟ وإن مجالس السيد رشيد لم تخل يوماً من العلماء ، كبارهم وصغارهم على السواء . ولا يعني الكاتب التنويه بنفسه وأنه كان وحده من بين العلماء على صلة معروفة بالسيد رشيد ، وإذا كنت أيها الشيخ الجليل كذلك فكيف أنكرت السيد رشيداً على مر الأيام ، ولم تقف في حفلة تأبينه راثياً مع الواقفين من أمثال الزركلوني والعدوي والمراوي وعبد الله عفيفي ورشيد رضا وعمد اللطيف جمعة وغيرهم ، بل ولم تكتب منه كلمة إلا الآن ؟

ثالثاً : وفي القالة تعبيرات طريفة مثل : ذهب مع الريح ، صار شيئاً يشربط تسجيل ، وهي قوالب لا تكلف صغير النفس إلا أن يرسلها من فمه ، كأن الأحاديث كانت في طبق أمامه يلتقط منها ما يريد ، يحيطونه بهالة من الشك في تدينه ، هذا السمل الذي سجله الشيد رشيد الخ .

رابعاً : وفي القالة أساليب وكلمات غير مستساغة ولا مقبولة لغة أو ذوقاً ، :

مثل قوله : العالم المصلح الذي يمكن الاستفادة منه ، وسعتها الأفادة .

وقوله : أذكى فيه روح الثورة ، وكررها بالزاي أيضاً فقال : بجرأة وشجاعة أزكاها الحق والتشريد والكاتب يعلم أنه يقال : « أذكى النار : أشعلها ، وأذكى الله المال : أصلحه وطهره ، والمعنى الأول هو المناسب هنا فكان الأولى كتابتها بالذال لا بالزاي .

ومثل قوله : ينفخ فيهم من روح اليقظة ما فتح عيوناً عمياً ؛ وما هنا مفعول ، ونفخ لا تتعدى بعد الجار والمجرور إلى مفعول ، يقال : نفخ في النار ونفخها ، ولا يقال : نفخ في النار ما جعلها تمشي في البيت مثلاً ، وإن كان يقال : مما جعلها تمشي .

ويقول في كبار علماء الأزهر الذين احتال عليهم حتى يلتقي الجمعان : والقارىء يعرف إذا كانت تصح هنا هذه الكلمة أولا تصح ، وليرشدنا الشيخ الجليل إلى معنى كلمة الجمعين هنا .

ويقول : أكتفي بذكر حادثة وقعت لي أنا شخصياً ، وهو تعبير عامي مرذول .

ويقول في الافتتاح : فصار ينفخ فيهم من روح اليقظة ما فتح عيوناً عمياً وآذاناً صماً ، بما اعتبره الباحثون عود ثقاب أشعل به ناراً على المستعمرين ، والأسلوب يقتضي أن يقال : أشعلت به النار ، ببناء الفعل للمجهول .

خامساً : وفي القالة أخطاء تاريخية مثل قوله : « وهذا — أي الرمي بالزندقة — سلاح قديم حورب به الأنبياء والمصلحون ألم يقل ورقة بن نوفل للنبي (ص) : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي ؛ وكذلك لاقى البخاري والغزالي » فهل رمي محمد (ص) بالزندقة ، وهل رمي سواه من الأنبياء قبله ، وهل رمي بها البخاري والغزالي ؟ أليس ذلك إفتراء على التاريخ ؟

ويقول : كان السيد رشيد يحارب سلاطين جائرين ، وحاكمين ظالمين . والتاريخ يثبت أن السيد رشيد وقف حياته على نشر آراء محمد عبده وأفكاره في الإصلاح .

ويقول : لم يعتمد — السيد رشيد — على ملك ولا حكومة أو جمعية أو حزب . فهل نسي الكاتب اعتزاز السيد رشيد بعطف المغفور له الملك فؤاد عليه وأثر ذلك في نفسه ؟

سادساً : ولا أنسى أن أقول أن نصف القالة أحاديث شتى عن ما عدا ذكرى السيد رشيد رضا ، وكان من الواجب ترك

الأدب المهــــنى (١)

أو

أدب أرباب المهن

للأديب خليل رشيد

– ١ –

إلى أولئك النفر القليل من جادت بهم الحياة ووجهتهم النبوغ والعبقرية الذين أبوا العيش إلا من قوة أيديهم وعرق جباههم أقدم هذا الحديث.

قبل الشروع في الحديث أود أن أبين السبب الذي دعاني إلى جمع ما فاتني من أخبار هؤلاء الأدباء، ولم شعثها في مدرج هذا الحديث، هي أمنية طالما اختلجت بها النفس، واختلج بها القلب، وأن أهدي ما مثل من تلك العقول الآسنة التي تجعل الأدب وقفا على الطبقة الممتازة وعلى البطالين من متحلي الأدب الأفاقين الذين يأبون النزول إلى ميدان العمل بدعوى أن العمل لا يتفق وكرامة الأديب، وأن الأدب والعمل على طرفي نقيض. وهذا القرآن بصريح بيانه يقول (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم). (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى). (وفضلنا المجاهدين على القاعدين درجات). والقرآن ملء بفضل العمل وشرف العامل وذم البطالة والبطالين. ومتى كان أدب التسول والاستجداء أرفع من الأدب المهني. ومتى كانت للمهنة ضعة وحطة أسمتها ؟ وقد جاء في الحديث الشريف (إن الله يحب العبد المحترف) وفي غيره (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (اعقل وتوكل) (أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ) (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) (إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله بالهم) (أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل) مضافا إلى هذا وذاك وزيادة في الإيضاح نورد بعض ما ورد من حكم في هذا الباب.

قالت الحكماء.

(كلب طواف خير من أسد رابض) (البطالة تقسي القلب) (أطلب تظفر) (من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره) (من العجز نتجت الفاقة) (الحاجة ذل) (لا يفترس الليث الظبي وهو رابض).

وجاء في الشعر العربي قديما في تأييد ما ذهبنا إليه :

وما قطعت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ما عناها

وهذا أبو دلف يقول :–

فالرجال والمهيم والنسما خلقوا اليوم كريهة وكفاح

وهذا المرزاح الوراق ينشدنا :–

دع الهوينا وانتصبوا كتسب واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في معزل فالصفع موجـــود مع الراحه

وهذا خليفة من خلفاء الإمبراطورية الإسلامية يزيد بن عبد الملك يقول (ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز).

ومن هذا القبيل كثير لا يحصيه عد ولا يحصره حد، ولا بدع إذا ما امتهن الأشراف بعض المهن من الصنائع وتنكبوا التجارة وراءهم ظهريا إذ في التجارة فقدان مروءتهم ومناقات الشرف الذي إليه ينسبون. ونكتفي بالتدليل على ذلك بقول ابن خلدون في مقدمته صفحة (٣٩٥) ما هذا نصه وتحت عنوان (خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك). ثم يشرح ذلك قائلا (إن التجار في غالب أحوالهم إنما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة، فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي أعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة التي تتخلق بها الأشراف، وأما إن استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلابة وتعاهد الأيمان الكاذبة على الأثمان ردا وقبولا فأجدر بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة كما هو معروف، ولذلك تجد أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لأجل ما تكسب من هذا الخلق). ولم يكتف ابن خلدون

١ – من كتابنا « الأدب المهني المخطوط »

ما لا صلة له بالموضوع.

وأخيرا فإننا نشكر لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى جهوده المباركة. وفقنا الله وألهمنا الصواب.

حامد محيسن
عضو جماعة كبار العلماء
ورئيس التفتيش بالأزهر

بهذا القدر بل ذهب في تأييد ذلك بمقدمته أيضاً صفحة (٣٩٩) قائلاً (قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والأرباح ولابد من ذلك في المكايسة والمماحكة والتحذلق وممارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف تنقص من الذكاء والمروءة.

فلا بدع إذن من أن يأنف الأشراف التجارة ويراهم ظاهراً لنا فيها كما قدمنا من قدماء الرومان فإنهم خلق الأشراف وهم يجدون البطالة أحرى وأجدر لنا فيها من ذلة وضعة. فما عليهم إلا أن يتخذوا صناعة من الصناعات كي تدر عليهم الرزق وتكفيهم مؤونة العيش.

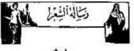
وما المهنة إلا شرف يتحلى به المرء. وقد امتهنها الأشراف من العرب وسادات قريش. وإليك ما جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة صفحة (٢٤٩ و ٢٥٠) تحت عنوان صناعات الأشراف قال.. —

كان أبو طالب يبيع العطر وربما باع البر. وكان أبو بكر الصديق بزازاً. وكان عثمان بزازاً. وكان عبد الرحمن بن عوف بزازاً. وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل. وكان العوام أبو الزبير خياطاً، وكان الزبير جزاراً، وكان عمرو بن العاص جزاراً، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل حداداً، وكان عامر بن كريز جزاراً. وكان الوليد بن المغيرة حداداً، وكان الوليد بن المغيرة حداداً، وكان عقبة بن أبي معيط خماراً، وكان عثمان بن طلحة الذي دفع إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مفتاح البيت خياطاً، وكان قيس بن مخرمة خياطاً، وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم، وكان عتبة بن أبي وقاص نجاراً، وكان أمية بن خلف يبيع البرم، وكان محمد بن سيرين بزازاً. وكان محمد الزاهد حائكاً، وكان أيوب يبيع جلود السختيان فنسب إليها. وكان المسيب أبو سعيد زياتاً، وكان مالك بن دينار وراقاً، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزازاً. وقد جاء في مقدمة ابن خلدون ما يعزز اللون والصنائع في صفحة (٣٨٣) بقوله (قالوا المعاش إمارة وفلاحة وصناعة وتجارة، أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات، وأما الصنائع فهي ثانيتها. وجاء أيضاً بالمصدر نفسه (ص) ٤٠١: (إن رسوخ الصنائع في الأمصار هو برسوخ الحضارة وطول أمده) وورد أيضاً بنفس المصدر (ص) ٤٠٣ (إن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع.

وقد يذهب البعض من أدعياء الأدب على أن الأدب وقف على ذوي المراكز الممتازة والطبقة العليا ولا يحق لكثير هذه الطبقة أن يدعيه. وإن ادعاه أحد غير هذه الطبقة فدعواه باطل وإن جاء بالمعجز المبدع. وإذا ما جاءهم أديب ممن من ذوي النبوغ والعبقرية بأدب رفيع قابلوه بأدبهم غير الاستهجان والازدراء وسط الشفاه، أقول: — متى كانت العبقرية بنت القصور والضياع ووليدة الغنى والثراء؟ ومتى كان الذكاء أليف الترف والنعيم؟ وكثيراً ما نرى النبل الفذ والعقل النقي حليف القصور وتوأم الترف والنعيم. وقولهم ينافي العرف وما قيل قديماً من أن العبقرية بنت الجوع. ولنعرف الأدب والأديب قبل الدخول في صلب الموضوع.

الأدب:

مرآة صافية تنطبع عليها انعكاسات المجتمع وصوره بما فيها من آلام وآمال. والأديب — هو العدسة اللاقطة لتلك الصور والانعكاسات. فإذا ما تأثر الأديب بصورة من صور المجتمع أخرجها لوحة فنية ذات منظر أخاذ، وليس عليه ما تتركه الصورة في النفس من ألم واشمئزاز أو بسطة وانشراح وإنما عليه أن ينقل الصورة بكل أمانة وصدق. يستطيع والحالة هذه التقاط صور المجتمع بما فيها من آلام وآمال إلا من انغمس بين طبقات المجتمع وذاق ما يعانيه من بؤس وشقاء. فمن يستطيع ذو البرج العاجي حليف الخمرة والفن والبذخ البعيد من أبناء الترف والنعيم تصوير البؤس والشقاء، وهي صور الأغلبية الساحقة للشعب؟ وكيف يستطيع أن يعطينا الصورة صادقة صحيحة من برجه العاجي من لم يذق البؤس والشقاء؟ فليس أديباً ولا فناناً من يصف لنا الحياة من دائرة ضيقة ولا يراها إلا من جهة واحدة. وليس الأديب إلا من يعطينا صور الحياة من جميع جهاتها بما فيها من آلام وآمال وسعادة وشقاء. ولا يستطيع هذا إلا الأديب الذي خبر الحياة وتذوق منها طعم الشهد والألم. وذلك أديب الواقع الذي يعيش بين طبقات المجتمع ويندس بين صفوفه وهنا ينقسم إلى قسمين. قسم يفضل الراحة والمتانة



غناء*

(مهداة إلى الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا)

للآنسة هيران شوق

أتطمع أن نغدو يشدك كيانه — تردده في آهة الصب الصب
وأنت الغناء الصفو والحب والمنى — وأنت مداح الطير في الغصن الرطب
وأنت مهاوي التسهيد قبسته — من اللاهج المشبوب والمدمع السكب

تتخذ من الأدب مهنة للكسب والعيش فيبذل ماء وجهه باستجداء الأكف وطلب الصدقات يتسكع على باب هذا وذاك في سبيل الحصول على العيش الذليل . وهـذا النوع من الأدباء يكون مهدور الكرامة مراق الحياء تأتي صوره مشوهة من الحقيقة لابسة غير لبوسها حسب ما يقتضيه طرفه وحسب ما تطلبه مصلحته . والأدب أرفع من أن ينزل إلى هذا المستوى إذ هو في رفيع سامٍ منزه من الدنايا والهنات وإلا فهو والحقير سواء .

لنترك هذا النوع من الأدب والأدباء إذ لا خير يرجى من أدب وأديب ينزل إلى هذا المستوى الوضيع ولنتحدث عن القسم الثاني من الأدباء الواقعيين الذين نريد الحديث عنهم بعد هذه المقدمة . الأدباء الذين أبوا العيش إلا من قوة أيديهم وما يبذلونه من جهد وذلك باختيارهم مهنة تدر عليهم الرزق وتصون أدبهم وتجرهم من الابتذال وتكفيهم ذل الحاجة والسؤال وتحفظ كرامتهم من الامتهان وهذا القسم من الأدباء أولى بالذكر والخلود . —

وها نحن نقدم لك طائفة من هؤلاء الأدباء المهنيين ممن اتخذت لهم المثالي واعطتهم قيادها مع شيء يسير من تراجمهم والشيء المختار من أشعارهم ونتاجهم الأدبي من الله أستمد المعونة والتوفيق .

والسلام عليه

خليل رشيد

الكاظمية — العراق

تناجي به الأطيار في نسق الحب — وتقي به المشتاق في البعد والقرب
ولا يزل ينزل النفوس وتمدحها — وشنف الليالي الزهر والأنجم الشهب
فيالك من شعر رقيق منغم — يرفرف فيه الطل في ناضر العشب
ترقرق فيه الشكوى وضمخ بالأسى — فجاء بما يغري ويجاش بما يصبي
أتت من الوجدان والطبع شعره — وأفرغته من حرقة الوجد والحب
وأشرقه تجري تذوب رقاقة — وتشغل بالتذكار والأمل الشهب
يرى الواجد المكروب فيه عزاءه — ويبصر فيه القلب يحنو على القلب

* * *

عزيز أيا وشي الحرير بسحره — ويا دمعة الذكرى ويا رنة العتب
دع الشعر للأيام تتلى فريده — ونحفظه في مهجة الفلك الرحب
وترسله لحنا جديدا على المدى — يظل غناء الروح والفكر والقلب
تغني الأحباب في الطير شاديا — فيا ما شدا بات الحب بلا لب
وفي الأمل المنصوب والحزن والجوى
وفي الشوق والآهات والسهد والكرب
وفي الشاب الباكي الذي لفه الردى — فغاض حنانا وهو في زهرة الشباب
غريب حبيب لا يغير وداده — إلى أن ترى في الخلد حيا بلا حجاب
فما الشعر إلا ابن الدامع والأسى — تجود به الأجفان عربا إلى قرب
لئن خاطب الأرواح رقت بشاشة — ولو أنها في وحشة النهمه الجدب
يظل حداء الركب نزري به النوى — فينسيه ما يلقاه من مسلك صعب
إذا طارب الحادي وطابت شجونه — فياليت شعري ما الذي حل بالركب
وهل سكر الدرب الذي ضم شملهم — خمار الهوى وانسابوا من نشوة الدرب
فلا يبصر الشادون إلا سحابة — تطوف على الكثبان والرمل والشعب
على القصر اللاح منها وشامة — مسافة بين الخيام والسعب
سقاوى وما ملوا غناء ولا سرى — ولا تعبوا أو قال قائلهم حسبي

* * *

دع الشعر يا ابن الشعر للعمر وحده — فلم يرث الأسلاف من زمن الكذب
وما كل من صاغ الكلام بخالد — ولا يملك الخلد الذي يصاب بالنصب

* * *

إذا قلت هذا الشعر سؤل فإنني — ورب قلب لا تحمل إذا لامني صحبي
فإني ملاح الحب أن تسلى الهوى — وتسمعه بين الرسائل والكتب
وأشب خلق الله في الأرض عاشق — تدين بالكتمان والخوف والرعب
والحسن إشراق والشعر نفحة — وما كل شعر يا عزيز الهوى يسبي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

على هامش الأدب والنقد :

تحية رائعة كأدبك ، طيبة كإنسانيتك ، وبعد

فإن تبكي وحدك الشاعرة المصرية (ن. ط. ع) التي ولدت مع الربيع وماتت مع الورد كما يقول « لامارتين » ، واسكتني سأشاركك في الحزن عليها ، وأقدم « الرسالة » نجيتها بهما ، فإن من حق الشعر أن يبكي الشعر ، وما نعرف أبي الشاعرة إلا شاعرة ، وها هي ذي « قرية تموت » تهدى إلى روح الشاعرة المصرية (ن. ط. ع) التي تفتحت كما يتفتح الزهر وماتت كما تموت الفراشة ولكنها تركت عبقا وعطرا ، وألوانا وأظلالا ، فلئن استطاع الموت أن يمحو آثارها من الوجود ، فلن يستطيع أن يمحو تذكرها من النفوس .

وأعود إلى نفسي فأقول : لقد وددت أن نلتقي في كتاب مشترك نطلع به على الناس ، وما تدري لعل هذه الرسائل التي نتبادلها على صفحات « الرسالة » ستؤلف قاعدة الكتاب ، وهي غنية بهذا التجاوب الذي يصل الرأي بالرأي ، والفكرة تحن إلى الفكرة ، فدع الكتاب يؤلف نفسه ، ويضم صفحاته ،

وأندى من الشعر الذي طاب نشره ... خلائق أصفى من سلافة الشرب
وقلب من الفكر القسيم مقره ... تبرأ من داء الحيلة والعجب

* * *

شهدت لقد أنشدتنا الشعر خالدا ... كأن به حبا تنقل في حب
خيالك صداحا وإن لك شاعرا ... تفرد بالتحنان والنغم العذب

* أنظر إلى القصيدتين المنشورتين « كيف أدعوك » و « عتاب » المنشورتين في عددي الرسالة (٨٩٢ ، ٨٩٨) اللتين أصاغهما الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا إلى « الآنسة أم كلثوم » وسألها في تواضع النظم أن تصنع فيها لحنا يكافئه الإهداء الرائع : « لقد خلقت الخالقين فنزلي إلى الشعوريين »

ولكن حذار أن تهتمي بالعصبية الإقليمية ، فلئن شغلت هذه العصبية « بعض الخواطر واستقرت في بعض النفوس » فلن تشغل خاطري ولن تستقر في نفسي ، فأنا أرى الفن وطنا وأحب أن يلتقي الناس في هواه ، وأمقت « من يخصف لبيئة بينهم دون غيرها من البيئات ووطنه بعينه دون غيره من الأوطان » .

ولعل الزمن وحده كفيل أن يكشف عن الناوية ويحسر عن الدخيلة ، ويصل الأمين تتطلع إلى قرارات النفوس ، وحسب الأدب أن يعرب عما تسكنه الأرواح وتخفيه القلوب .

ولقد قرأت تعليقك على رسالتي المنشورة في العدد (٨٩٨) من الرسالة فسرني أن نتلاقى في وجهات النظر ، فإن دل هذا التوافق على شيء فإنما يدل على التلاقي في الأدب وامتزاج في الطبع واشتراك في التفكير . ولعل من سعادة النفس الإنسانية أن تظفر في هذه الحياة بمن يرى رأيها ويفكر تفكيرها ويشاركها في كثير من شعورها وعاطفتها ، حتى تحس أن بينهما تجاوبا تاما وتجاذبا وثيقا ويؤلفهما إلفا واحدا .

ويسرني أن أنبئك أني حين فرغت من قراءة القصيدة الحلقة « كيف أدعوك » المنشورة في العدد (٨٩٢) من الرسالة والتي أنشأها الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا إلى الآنسة أم كلثوم وسألها في تواضع النظم وحياء الكبير أن تصنع فيها لحنا يهديها الإهداء الرائع « لقد خلقت الخالقين فنزلي إلى الشعوريين » صحت من أعماق قلبي قائلا : « لا يا أيها الشاعر ! ما أرتضي لك أن تنزل إلى وهدة الشعوريين وأنت في سماء الخالقين .. إن الشعر الخالد لا يفتقر إلى من يصنع له لحنا بعد أن رددته القلوب وغنته الأرواح وأصبح إرث العصور للعصور .

وأنشأت قصيدتي « عتاب » وأهديتها إلى الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا لأطلعه على هذا الأفق الرحيب الذي يحلق فيه شعره ، والمدى البعيد الذي يسري فيه أريجه ، وما كدت أفرغ من قصيدتي « عتاب » حتى طالعت في الرسالة الأخيرة ردها قصيدة « عتاب » وقد أهداها ثانية إلى أم كلثوم ، فقلت في نفسي : هذا كثير يا سيدي الشاعر ! فإن من حق اللحن الخالد أن يتقرب إلى الشعر الخالد في كثير من التواضع والحياء يخطب وده ويطلب يده .

« دمشق »

محمد شوقي

وقد تركت كلك «بين عزيز أباظة وأم كلثوم» وأنت تشفق على قصيدة الشاعر الكبير «كيف أدعوك» وعلى عبارة الإهداء «الصدحة بمعاز التواشيح وإسكار القلوب» فسرني أن نتلاقى في وجهات النظر وأن أنتهي إلى رأي مشترك هو أن الشعر الخالد يرفع من يغنيه، ولا يستطيع اللحن الخالد أن يرفع شعر الوخاز والمسوح إلى القمم والذروات!

بعد هذا أرجو ألا يرجأ نشر قصيدتي «قرية تموت» وأختها «غناء»، لأن من الشعر ما لو نشر في غير حينه لأضاع كثيرا من رونقه وجماله .. ولك التحية والمودة.

دمشق – سورية عمران شوقي

لقد ولدت مع الربيع حقا وماتت مع الورد — ولكن حياتها كما هي، كانت أقباسا من وهج الرعشة وقبوا من مهرجة الألم، وغريبا لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس!

يا روح تطل عليك من عليا الآخرة يا عمران، وتحفظ لك هذا الوفاء، وتشكر لك هذه العاطفة النبيلة التي أملت عليك أن تذكري أختا لك في الأدب والإنسانية ... ترى هل أدركت من طريق الإلهام سر هذا الأسى الذي أمات نور الشباب في إبانه وأذبل زهر الربيع في ريعانه؟ إنه سر عميق — كمن بين الجوانح وطويت عليه الضلوع، وقدر له أن يستقر في تلك المقبرة الضيقة التي ينتهي إليها كل حي، ويستريح كل شقي، وتسكن كل حركة وتهدأ في زحمة الوجود كل مصير!

يا رحمة الله لتلك الروح التي لقيت من دنياها ما لم يلقه الأحياء حسبها في ظلام القبر أن هناك من يذكرها بالقلب والفكر، يذكرها إنسانة وفنانة، وحسبها قصيرا ما أف أحزان المباري ثم محوا من يسعده على وخزات الجراح! ماذا أقول لك يا عمران وقد آثرت بشعرك ونثرك كوامن الشجن؟ أقول لك تلك الكلمة التي قلتها بالأمس: إن الوفاء آنس هو أجمل ما في الحياة .. وحسب الشاعرة الراحلة هذه النفحات العطرة تهب على ذكراها من «قرية تموت»!

أما سبك في أن من الشعر ما لو نشر في غير حينه لأضاع كثيرا من رونقه وجماله .. ولهذا يسعدني أن أقدم شعرك إلى الناس، أنت يا أيتها الشاعرة «المجهولة» التي خلقت فيها حتى قضت أن يظل رهين المحبسين: القلب والقدر! وأدفع إلى هذا العدد من الرسالة بقصيدتك الأولى «غناء» وأرجئ قصيدتك الأخرى إلى العدد الذي يليه.

أما عن هذا الكتاب المشترك الذي تقولين إن هذه الرسائل تؤلف بدايته فلست أدري أي حظ ينتظر نهايته .. إن لدي ثلاثة كتب مهيأة للطبع، ولكن أزمة القراء تصرفني عن التفكير في إخراجها إلى حين، إلى أن يقدر لهذه الأزمة أن تنجلي ولهذه الغمة أن تزول، ويجد القراء من وقتهم ومالهم وجهدهم ما يعينهم على قراءة الكتب التي تستحق بذل الوقت والجهد والمال! ماذا تقول إذا كان القارئ العربي قد أصبح قارئ مجلة، يريد أن ينتهي منها وهو يحتسي قدحا من الشاي أو يترقب وصول الترام أو ينتظر قدوم صديق؟ هذا موضوع بحثته في عدد مضى من الرسالة وأحب أن تؤدي إليه يا عمران .. وأن تحمل تحيتي الخالصة والشكر العميق إلى الأديبة السورية الطموحة السيدة وداد سكاكيني، التي شغلت زيارتي في وزارة المعارف المصرية منذ شهر حين قالت لي ونحن نتحدث عن أزمة القراء: لو كنت تعرف منزلتك في الأقطار العربية عامة وفي سورية على الأخص، لما تأخرت في أن تقدم إلى قرائك ما لديك من كتب .. لست أدري إذا كانت كلمات الأديبة السورية من قبيل المجاملة التي يفرضها الخلق الكريم أم من قبيل الحقيقة التي يفرضها الواقع الذي لا أعلمه! مهما يكن من شيء، فحسبنا اليوم أن نلتقي على صفحات الرسالة، لننتظر ماذا يكون من أمر الغد القريب.

أما عن هذا الشاب الذي حدثته من قبل وهبت به أن يتخلى عن العصبية الإقليمية، فإنه يسرني أن تطرقيه بهذه الكلمات: «إني أمقت من يتعصب لبيئته دون غيرها من البيئات، ولوطن بعينه دون غيره من الأوطان، لأني أرى الدنيا وطنا واحدا يتلاقى الناس في هواه» .. صدقيني إني أحب أن أسمع هذه الصيحة من كل قارئ، وأديب في مصر ولبنان وسورية والعراق، وكل وطن تربطه بالعروبة أواصر وأسباب. أحب للكتاب والشعراء أن ينظروا إلى أعمالهم وهي مجردة من أثواب الوطن الصغير لينظر إليها من وراء حد هو هذا الوطن الكبير .. عندئذ تختفي من الأذهان هذه العصبية الناشئة التي تتعصب لطه حسين في مصر لأنه

مصري، ونضمه إلى جانب أبي ماضي في لبنان لأنه لبناني! إن كليهما في رأيي ورأي الحق شاعر «عربي»... وهـذا هو العنوان الصحيح الذي يجب أن تندرج تحته أسماء أهل الفن هنا وهناك.

ولقد لمحت من وراء السطور في رسالتك سر إعجابك بشعر عزيز أباظة، كما لمحت من وراء الأبيات في قصائدك سر عطفك على شعر أنور العطار.. ودلتني هاتان اللمحتان على أن شعر يوسف حداد لم يظفر منك بشيء من هذا العطف وذلك الإعجاب لأنه نغمات تنبعث من وتر غير الوتر ورفات تنطلق من جناح غير الجناح! أريد أن أقول إن سر ميلك إلى الشاعرين مصدره أن شعرك يغترف ألفاظه وأخيلته وقوافيه من نفس النبع الذي يغترفان منه.. وهنا مفرق الطريق بين تيارين تمثل إحداهما شعر يوسف حداد وتمثل الأخرى شعر أباظة والعطار. ولست أريد من وراء هذه اللفتة العابرة أن أخرج شعر الشاعرين من دائرة الأداء النفسي، كلا! وإنما أريد أن أقول إن الومضات الشعرية التي تحلق بالقمم والجبال فوق المستوى المألوف في أفق الشعر.. هي التي تدعوني إلى أن أزن قصيدة «الشاعرة» ليوسف حداد بنفس الميزان الذي أزن به قصيدة «والقصة الطائفة» لعلي محمود طه وقصيدة «الطلاسم» لإيليا أبي ماضي.. وهو مستوى من التحليق لم يبلغه بعد شعر عزيز أباظة ولا شعر أنور العطار! إن هناك يا أخي لونا من الشعر يعجبني ولونا آخر يهزني... وكلا اللونين يرضي فيهما «الأداء النفسي» ولكنه عرضا الذي تختلف درجاته ومستوياته. وأرجو ألا يفهم القراء أن حكمي على يوسف حداد هو حكم عام على شاعريته، كلا! إنه حكم على هذه الشاعرية في حدود هذه القصيدة الوحيدة التي لم أقرأ له غيرها من قبل.. وقد تكون «فلتة» من الفلتات التي يصعب أن تتكرر من حين إلى حين.

ليس من شك في أن الآنسة هجران ستشم من هذا الكلام رائحة اختلاف في الرأي.. لا بأس من أن نختلف في أمر ونأتلف في أمور، وحسبها هذه الأبيات التي قالها شوقي على لسان ابن ذريح:

ما الذي أغضب مني الظبيات العامرية
ألأني أنا شيعي وليلى أموية!
اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية!

ومعذرة لهذا التحريف اليسير في البيت الأول.. إنه تحريف يقتضيه المقام!

مجلة «الأديب» في قفص الاتهام:

لقد كان موقفك نبيلا تجاه رسائلي السابقة وإهمالك في التعقيب على الدفاع عن مجلة الأديب المنشور في العدد (٨٩٥) من الرسالة الغراء، فبررت موقفك طويلا. وأحسب أن الصداقة التي تربطك بصاحب الدفاع هي التي جعلتك تنشر رسالته أو دفاعه الذي يحوي أوضح الاتهامات من غير أن تذكر اسم الكاتب! فهل يرضى ضميرك هذا العمل؟ إن النقد يا سيدي - وبالأخص مثل هذا النقد - لا يقتضي من غير الاسم الكامل للكاتب، فكيف تجاهلت هذا! إني أربأ بك، فأنت يجب أن تتمسك بالحق دون النظر إلى الأمور الشخصية ودون الاعتبار بظروف الصداقة.

على أي حال أرجو أن يتسع صدرك وصدر «تشيباتك» لردي هذا الذي آمل أن لا يحذف منه شيء.. والآن دعني أحدثك بهذه الأسطورة:

يحكى أن جماعة من الذئاب عصف بها الجرب فعقدت اجتماعا فيما بينها، وقررت أن تتعدى بكل ذئب أصابه الجرب كي لا ينتشر هذا المرض بين الذئاب. وكان في تلك الجماعة التي تضم حثالة من الذئاب ذئب واحد أصيب بالجرب، ما إن سمع بهذا القرار حتى رفع صوته صارخا (أنا لست أجرب) وما كان من الذئاب الأخرى إلا أن انقضت عليه وافترسته!

أنت ترى يا سيدي أن ذلك الذئب لو لم يكن أجرب لما رفع صوته، ولما التفتت الذئاب إليه، ولما افترسته.. ومجلة الأديب تشبه في دفاعها عن نفسها دفاع الذئب الأجرب عن نفسه! فالكلمة التي سبق أن بعثت بها إليك قد نشرتها دون أن تذكر اسم المجلة، وجاء فيها أن المجلة التي تبيع النشر بالمال يجب أن تحارب... فما كان من «الأديب» إلا أن رفعت صوتها - على لسان أحد أصدقائها - تقول إنها لا تبيع النشر بالمال! وغاب عنها أن دفاعها هذا ما هو إلا اعتراف لا يقبل الشك في أنها تبيع النشر بالمال!!

وإذا وجدتني أبالغ فيما أقول فدونك أعداد «الأديب»،

تصفحها جيداً فسترها إلى جانب قائمة الأسعار تخاطب القارئ، في افتتاحياتها بين حين وحين بكلمات مستجدية لا يمكن أن تستعملها مجلة لها كرامتها ولها من كرامتها الأدبي. وإذا صح ما يقوله الدائم من «الأديب» من أن صاحبها (مديون) في الاستجداء السافر، فماذا إذن الكد والتعب والإرهاق وما فائدة مجلة تافهة لا تستطيع الاستمرار في الصدور إلا على يد الأنصار؟ أجل، ما نفع مجلة تفرض نفسها فرضاً على القارئ، في مطلع كل شهر بوجهها الأسود؟!

يقول صاحب الدفاع عن «الأديب» المختفي خلف نقاط ثلاث: «فليس صحيحاً أن جميع أنصار المجلة تنشر لهم المقالات» عفواً يا أستاذ؛ نسيت أن أستثني من جميع الأنصار مصرياً واحداً أو مصريين لا أملك مقالاتهم لأسباب أخرى خاصة، بعيدة جداً عن النزاهة والحق. ويقول من لسان ألبير أديب: «إن ما ذكره كاريك من هنات القارئ العراقي الذي شكره صاحب الأديب لإرسال الاشتراك إلخ... كذب وافتراء» وأنا أعجب أشد العجب كيف تهور الأستاذ ألبير في ذلك هذا التهور القاطع لا شك أنه لا يدري أن بإمكاني نشر تلك الرسالة التي أرسلها بخط يده، كي يطلع عليها القراء، ويقفوا على نفسية هذا الرجل الغريب. والآن ليطمئن الأستاذ إلى أني لا أعمل ذلك، وسأكتفي بهذا التلميح كي لا يتهور ثانية ويتهمني بالكذب والافتراء!

وأحب أن تعلم يا سيدي الدافع أنه لو بحث تلك الفروق في كلي بأيسر سورها لأن ثقة التيمر تقوم بأشنع مقالتها في رسالة ألبير أديب إلى أحد الزملاء حين يقول له: إنه يعاني أزمة في النشر، تجعله يفكر في هجر «الأديب» وهجر لبنان!

— أنت ترى يا سيدي الدفاع أن «هذا الكاتب بعد أن يهمس بقلة الذوق لأنني كشفت الستار عن مؤامرة ألبير لا ينكر قولي ولا يكذبه... ومع ذلك يهمس بقلة الذوق فهو يقول: «إن صاحب الأديب قرر سابقاً أن يتابق مجلته، وإنه لم يطلب اشتراك الأنصار إلا بناء على اقتراح هؤلاء الأصدقاء». ومن كلام هذا المختفي خلف النقاط تستطيع أن تلمح آثار الحقيقة التي كشفت عنها الستار، فبأي وجه يتذاكى حضرة الدافع المجهول؟ كأنما «الأديب» لم تقل شيئاً غريباً، وكأنها إذ تتوسل وتستعطف وتستجدي لا تخرج عن مقتضيات الصحافة في العصر الحديث... يا هذا المراء؟ ما هذا الكلام الفارغ! متى كانت الصحافة تجارة؟ وفي أي جيل وأي عصر تقاضى الكاتب أو الشاعر مبلغاً من المال كي ينشر فكرة من الفكر في صحيفة من الصحف؟! في الوقت الذي كان يجب أن تدفع «الأديب» من عندها للكتاب رأيناها تأخذ هي من الكتاب، ألقاء نشر كتاباتهم! فهي تريد أن تجعل الأدب ملهاة يستطيع أن يمارسها كل من هب ودب من أصحاب الجيوب المنتفخة! أيها التاريخ سجل منزلة الفكر في هذا الزمن، واذكر مجلة الأديب بحروف من ذهب!!

ويعود حضرة المختفي خلف النقاط — بعد أن عجز عن الدفاع عن مجلته — فيخاطبك زاعماً أن سبب (الترادتي) هو أني أرسلت إلى «الأديب» بعض القصص فأهملت، ثم بعد أن أرسلت له من أحد كتبي مائتي نسخة كي (أرشوه). ولا شك أنك صدقت قوله هذا كما صدقه سائر القراء، وكما يجب أن يصدقه كل من لا يعرف الحقيقة على وجهها الصحيح، وهي غير ما ذكره حضرة الدافع المجهول... لا أنكر أنني أرسلت إلى «الأديب» قصة فأهملت نشرها، لا لأنها سخيفة كما زعم الأستاذ، بل لأنني كنت متفائلاً جداً بالأديب لم أرتق مع قصتي (الدونة) المطلوبة!! ثم جاءني ناشر كتابي ذلك يخبرني أنه أرسل عشرين نسخة من «مسوح عذراء» هدية لصاحب الأديب، على سبيل الإعلان، وأنه سوف يرسل إليه مائتي نسخة من ذلك الكتاب — ولما سألته عن سر ذلك أجابني بأنه قد عزم على أن يقدمها هدية لصديقه ألبير... فلم أتدخل فيما يعنيني إذ لا شأن لي في الأمر! ومع أنني أسألك هنا سؤالاً واحداً: لو أن قصصي سخيفة وضعيفة كما يقول حضرة الدافع المجهول، فهل يعقل أن يتهافت الناس عليها وهل؟ وتسألني: وهل تهافت عليها الناس فأقول لك: تحسب أن هناك ناشراً يبلغ به السخاء ذلك الحد الذي يتبرع فيه بمائتي نسخة من كتاب لم يربح منه؟!

وما رأيك في أن قصصي لم ترفض ولم توصف بالسخف إلا بعد أن اطلع ألبير أديب على كلي في «تعقيباتك»؟ أما قبل ذلك فتحت يدي رسالة كتبها ألبير إلى الناشر يطلب إليه الإسراع في إرسال النسخ الباقية التي وعده بها... وبعد اطلاعه على كلي

بعد ذلك في « المشيات » كتب إلى ناشرى يقول « أرجو عدم إرسال شيء من كتب كارنيك جورج إذ لا يليق توزيعها باسم « الأديب » نظراً لركاكتها وسخفها ، ثم إن صاحبك هذا حقير النفس لا يستحق التشجيع كما طلبت مني ، ألم تقرأ ما نشرته له مجلة الرسالة ؟ تجد طيه كلمته المذكورة وتعليق الرسالة عليها »!

أرأيت يا سيدي كيف شوهت الوقائع وكيف لجأ صاحب الأديب إلى أمثال هذه العبارات الهابطة ، لأنه قد عجز عن الدفاع عن نفسه وعن مجلته ؟ . . ألا ما أحقرها من طريقة تلك التي تذكرنا بقصة القنب الأجرب فيما سبق من حديث !!

«البصرة - العراق» **كارنيك جورج**

حملا بحرية النشر ، وتحقيقاً لرغبة الأديب الفاضل فقد نشرت هذه الرسالة كاملة ، ولم أبح لنفسي أن أحذف منها غير فقرة واحدة زج فيها بشيء وكان يمكن أن تدخل طرفاً ثالثاً في هذه الخصومة . ويضيق النطاق عن التعقيب في هذا العدد ، فإلى العدد القادم إن شاء الله .

هجوم في جريدة الزمان :

أشهد أنني أضع على رأس المعجبين بالأستاذ محمد علي غريب محرر الصفحة الأدبية في جريدة الزمان . . ومن العجيب حقا أن ينجي الأستاذ الفاضل ثم لا يختص هذا الهجوم من حدة إعجابي به وتقديري له ، في كل مكان يرد فيه ذكره إذا ما تطرق الحديث إلى قيم الأدب والأدباء !

وتسألني عن سر هذا الإعجاب فأقول لك : إنه إعجاب بهذه الموهبة الفذة التي أتاحت للأستاذ الفاضل أن يكون أديباً من الأدباء المشارين ! ولئن دلت هذه الموهبة على شيء فإنما تدل على أن الذكاء الخارق يستطيع أن يصل بصاحبه إلى المجد الأدبي من أقصر طريق . . وهذا هو المثل الأعلى الذي سيشير إليه تاريخ الأدب في يوم من الأيام .

صحيح أنه من الفشل في حياته ما يرفض منه الصبر وتتبخر قطرات العزاء ، ومع ذلك فقد خلق من الفشل نجاحا ليس له فيما نعلم نظير . . لقد سدت في وجهه أبواب الرزق في عالم الصحافة فجمع بين الطموح وعزيمة التفتح إلى ميدان الأدب . وحين أدرك بفطنته أن الصحف الأدبية في مصر هي الرسالة والثقافة والأسبوع والكتاب والهلال ، لم يفكر أن يطرق أبوابها لأنه ذكي لماح . . ومبلغ العظمة في هذا الذكاء أن صاحبه لا يريد أن ينخدع ، لأن المشرفين على هذه الصحف يعرفون اللغة العربية !

إلى أي مكان يذهب بقلمه ليصبح أديبا في عداد الأدباء ؟ لقد فكر الأستاذ طويلا ، وصحبه أخرى لم يخذله الذكاء اللماح : إن هذا الذكاء اللماح وحده هو الذي قاده إلى جريدة الزمان . . وهناك أصبح أديبا ممتازاً لسبب واحد ، هو أن المشرف على هذه الجريدة لا يعرف اللغة العربية . . لأنه (خواجة) إيطالي جلاد ! !

أقسم بالله العظيم أنه ذكي وعظيم . . ذكي لأنه وجد الخواجة الذي استطاع أن يقنعه بأنه أديب ، وعظيم لأن هذا (الخواجة) قد اقتنع فأفرد له مكانا يكتب فيه . . قد تقول لي إن المسألة لا حظ فيها ولا ذكاء ، لأن إقناع (الخواجات) بقيم الأدباء أمر يسير . لا يا سيدي ! قد يحدث هذا بالنسبة إلى أدباء آخرين . . أما بالنسبة إلى الأستاذ محمد علي غريب فهو مستحيل حتى على الخواجات الإفرنجيين !!

ومن هنا ينبع إعجابي به ، وإن بالقليل من التقدير له أنه أديب لا يعترف به غير الخواجة إيطالي جلاد . . حسبه أنه يستطيع أن يقنع صاحب الزمان بإخراج كتاب يؤرخ فيه الأدب العربي الحديث . . وعندما يكتب (الخواجات) تاريخ الأدب المعاصر ، فسيكون الأستاذ محمد علي غريب مكان أي مكان !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأحاديث الإذاعية :

من الأحاديث الرسمية التي تسمعها الإذاعة المصرية ، أحاديث يلقيها حضرة الأستاذ مدير دار الكتب المصرية كلما أخرج القسم الأدبي بالدار كتاباً أو ديواناً أو جزءاً من كتاب أو ديوان . وقد سمعت بعض هذه الأحاديث ، واسترعى انتباهي خاصة الحديث الذي أذيع عن ديوان كشاجم من حيث إنه كان كله عبارة عن ترجمة الشاعر ، وكان يجدر أن يشمل أصل الديوان المخطوط وأين هو وكيف حقق وهل سبق طبع أو تحقيق له وما تهيئه وما إلى ذلك .

ثم عرفت من تحرياتي - كما يقول زملاؤنا الصحفيون - أن تلك الأحاديث تحضر من مقدمات الكتب التي يضعها لها مصححو القسم الأدبي الذين يقومون بتصحيحها وتحقيق نصوصها وأن سكرتيرة الدار تطبع هذه الأحاديث ليلقيها المدير في الإذاعة من الأوراق المطبوعة ، وحضرة المدير من كبار الموظفين الذين يحسب مكافأتهم في الإذاعة وفق درجاتهم المالية في الوظائف ، لا كثيرهم عن لم يحظوا بهذه الدرجات وتقدم لهم الإذاعة الأجر القليل مهما كانت بضاعتهم ، وهم بطبيعة حالهم يجدون في إعدادها ، بخلاف الكبار من أشباه مديري العموم الذين يذيعون ما تعده إداراتهم ومصالحهم من منشورات ومطبوعات . . أي أن الأجر يعطى على قدر العمل والقيمة عكساً : من جد وعمل جزاؤه ثلاثة أو أربعة جنيهات ، ومن أذاع منشوراً مطبوعاً وأكثر من اللحن والخطأ كان له خمسة عشر جنيهاً جزاء غير وفاق !

نعود بمنحنا الاستطراد إلى دار الكتب ، فنقول إن مديرها رجل فاضل وهو أستاذ من رجال التربية والتعليم ، ولم يسمع منه أنه اشتغل بالدراسات المتصلة بالمؤلفات والدواوين التي يخرجها القسم الأدبي بالدار ، فالذي يليق به أن يكتب للإذاعة - إذا رأت الإذاعة أن تستفيد من فنه - في التربية والتعليم أو علم النفس مثلا ، فيكون ما يقدمه من إنتاجه الأصيل الذي يستحق المكافأة المادية التي تدخل جيبه الخاص . وفي الوقت نفسه يتسع لموظفي الدار المختصين بموضوعات تلك الأحاديث ليقدموا ما سال عرقهم فيه ويأخذوا ما يستحقون عليه ، ويتيحوا للإذاعة شيئاً من الاقتصاد الجائر إذ تكسب فرق ما بين أجر الموظف الكبير والصغير . .

ثم نخلص من ذلك إلى وجهة عامة ، فليس الأمر قاصراً على دار الكتب ومديرها ، وإنما هي خطة إذاعية محكمة . . تسير عليها الإذاعة المصرية في استجلاب ما تسميه أحاديث رسمية ، وهي أحاديث لا يهم أكثرها الجمهور ، وكلهم يعرفون ذلك ويعلمون أن الأجهزة تقفل وقت أحاديثهم فلا يهمهم إجادتها وإن كانت الإذاعة تهتم بإجازتها . . نخلص إلى هذه الوجهة العامة لنتمنى أن تخلص الإذاعة من هذا الركود وتتجه إلى الاستفادة ، فلا يكون همها مرضاة كبار الموظفين ، بل تتجه إلى من تتوسم فيهم الكفاية والاهتمام لتقدم ما يفيد ، من الأفراد ، غير مراعية فيهم منصباً ولا درجة !

ومما يتصل بهذا الموضوع ، هذا العدد الوفير من الأساتذة الجامعيين وبعض الصحفيين الذين يتحدثون على الأخبار السياسية ويقولون إنها حوادث الأسبوع . . أساتذة أجلاء وأعلام لامعة يحدثون الناس عما قرأه هؤلاء في الصحف أو وقعت أعينهم على عناوينه واختاروا الحسن ثم يقرؤونه . وأعجب العجيب برنامج « أهم حوادث الأسبوع » لأن صاحبه المحدود يقول للمستمعين ما عرفوه منذ أسبوع . . وكل منهم يستطيع أن يقوله كما يقوله .

وكأني بأولئك الأساتذة لا يبذلون في أحاديثهم جهداً ، لأنهم واقفون على طريقة الإذاعة في الإثابة العكسية على الجهود ! وهم - لذلك - معذورون في عدم تقديم بضاعة مفيدة ؛ لأن الإذاعة تطلب منهم ذلك النوع من الأحاديث ، والإذاعة غالية وطلبها رخيص !

وموظفو الإذاعة المختصون بالأحاديث لهم نظر ثاقب . . وهو بأعينهم في كل عهد من عهود الحكم ، إذ ينظرون إلى أنصار العهد الذي يكون حاضراً فيتقربون إليهم بطلب الأحاديث منهم

وخاصة الصحفيين الموالين. ومن هؤلاء الأنصار والموالين أساتذة يستغله منهم، ولكن ليس هذا هو مقياس النظر الثاقب الذي لا يستطيع أن يعدو إلى هؤلاء الأساتذة في غير آرائهم.

وبعد فإني أعتز أن يسأل الدكتور حامد زكي وزير الدولة المختص بالإذاعة وسعادة كامل مرسي باشا صديرها بالنهاية، يهتمان بإصلاحها، ولكني أراهما يصانعان تسيير اللغة والمجاملات تعرض ألوان الثقافة تحتها، والتصور التالي لا يزال يتحكم في اتجاهها.

مشكلة القراءة:

كتب الأستاذ محمد علي غريب في جريدة «الزمان» عن مشكلة القراءة أو ظاهرة الإعراض عن القراءة الذهنية في مصر بين «المتعلمين» الذين وصفهم بأنهم «الذين يصبحون بعد تخرجهم في المدارس أشد أمية من الجهلاء».

وقد تناول الأستاذ الموضوع من جانب عرض تلك المظاهر بين الموظفين ومن إليهم ممن يقضون أوقاتهم في الجلوس على المقاهي ولعب النرد ويستهلكون تفكيرهم في تفهم منشورات العلاوات وحساب الأقدميات، ولا يفكر أحدهم في أن يقضي وقته في رفقة عبقري موهوب يقدم على صفحات كتابه أشهى ثمار، فيتسع من آفاق فكره ويزيد معارفه ويثري ثقافته ويعرف أن في الحياة ما هو أجل من الترقيات والعلاوات. وقد أحسن في تصوير هذه الناحية بقلمه الحي الرشيق. ومقالات الأستاذ غريب هي «ركن الأدب» الحقيق في «الزمان» ولكنه لم يعرض لأسباب هذه الأزمة، بل اقترح تأليف لجنة لبحثها، قائلا: «وصع أني لا أومن بفائدة اللجان الحكومية وجدواها، فإني حيلة في قبول أن تؤلف لجنة لبحث هذا الموضوع: لماذا نكره القراءة؟»

وأنا أشد من الأستاذ غريب يأسا من مثل هذه اللجنة التي يقترحها، إذ أخشى أن تؤلف من الذين — ممن لا يقرؤون..

فالمشكلة كلها تكمن في طريقة التعليم وملابساته، فالمناهج المزدحمة والامتحانات التي تتجه إلى الذاكرة ولا تعنى بالإدراك، وإرهاق التلاميذ والمدرسين، كل ذلك يبغض في الكتاب، إذ لا يكاد التلميذ يتخلص من «سخرة» الامتحان حتى يلقي بالكتب وهو يشعر بالسعادة لتخلصه منها. ويلحقه الكتاب

كشكول الأسبوع

* انتخب الشيخ محمد فؤاد أول لغة العربية دورة الفاسية عشرة يوم الاثنين الثاني، فعقد مجلس المجمع جلسته الأولى ومن أهم ما نظر فيه الترشيح لكرسي الكرسي الخالي. المجمع فؤاد تقرر بين الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني والدكتور محمد شرف... وقد فتح باب الترشيح من جديد.

* ... من أنباء أن جامعة أثينا قررت منح الدكتور طه حسين بك وزير المعارف المصرية درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة، وأن الحكومة اليونانية أرسلت دعوة رسمية إلى معاليه ليكون ضيفا عليها خلال شهر أكتوبر إلا أنه لم يستطع لبية الدعوة في حفل رسمي.

* يتبين من السجل الثقافي لسنة ١٩٥٠ أن الكتب التي ظهرت في هذه السنة بمصر بلغ مجموعها ٥٥٠ منها ٤١٠ مؤلف و١٤٠ مترجم، كما يتبين من توزيعها على الأبواب المختلفة أن الأدب كان له النصيب الأكبر، إذ بلغ ما أنتج فيه ١١٨ كتابا وما ترجم ٧٩، وأقلها الأخلاق، فلم يؤلف فيها إلا ٣ وترجم كتابان.

* ويتبين من المقارنة التي احتواها السجل أن التأليف قد قل في سنة ١٩٤٩ عما كان في السنتين السابقتين.

* ويدل إحصاء الصحف التي تصدر في مصر باللغة العربية، على أن عدد الصحف اليومية ١٩، والأسبوعية ١٩٢، ونصف الشهرية ١٢، والشهرية ٢٢، وذلك عدا الصحف الرسمية والمدرسية وما يصدر بغير انتظام. ويصدر في البلاد المصرية ٥٦ صحيفة بلغات أجنبية هي الإنجليزية والفرنسية واليونانية والأرمنية والإيطالية والألمانية.

* تقدم الفرقة المصرية لتمثيل موسمها القادم على مسرح الأوبرا الملكية بالمسرحية المصرية «شجرة الدر» للأستاذ عزيز أباظة باشا.

* وصلني بالبريد ظرف مفتوح به ورقة تحمل خطا في أديب كتبت له تناولت مسألة تتعلق به. وقد أعطيت نفسي من هذا الصفار، وأحب أن أشوق القارئ المجهول مرسل الورقة: إننا نتناول المشكل من جانبها الموضوعي، ولا يهمنا هذه الأمور الخاصة، ولا نتهم أحدا في موقع المسئولية الشخصية مع أحد.

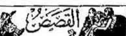
المدرسي يجره إلى بغض جنس الكتاب . فلا مكان إذن لحب القراءة من نفسه .

ومن أكبر الخطر أن المشكلة واضحة أيضاً بين المدرسين أنفسهم .. أولئك الذين يرجى منهم أن يبثوا حب القراءة والاطلاع في نفوس الطلاب ، لأنهم أيضاً ضحية هذا النظام المدرسي ، ومن تميل نفسه إلى القراءة منهم لا يجد لها فضلة من نشاط بعد أن يكد يومه في التحضير والتدريس والتصحيح . وكثير ممن يلون مناصب التعليم الكبيرة مروا بتلك الأطوار ، وقد أصبحوا في شيء من الفراغ يمكنهم من القراءة ، ولكنهم لا يزالون على ما تعودوه . ومن هنا نخشى أن تؤلف المجلة من لا يقرءون . وما أحسبني في حاجة إلى أن أقول إن هذا الكلام لا ينطبق على الجميع ، فبين رجال التعليم كثير من المثقفين الممتازين الذين كان لهم من أنفسهم وظروفهم الخاصة ما عصمهم من الداء الناشئ .

في كل مدرسة مكتبة ، ولكن هذه المكتبة تعلها المكان الوحيد في المدرسة الذي يشكو الفراغ ، فقل أن تجد طالباً يقصد إليها لاستعارة كتاب أو قراءة مجلة من المجلات الأدبية التي تشترك فيها الوزارة للمدرسة ، وقل أن يذهب مدرس إلى المكتبة ليرى ما تحتويه من نفائس الكتب ولو كانت في المادة التي يدرسها وكثيراً ما تجد المجلات لا تزال في أغلفتها الأصلية ، أما الكتب فهي في غاية النظافة وإن كان يعلوها بعض الغبار . أليست مكتبة المدرسة إذن جديرة بأن نكتب عليها « هنا ترقد بنات الأفكار في مثواها الأخير » ؟ وإن كنا لا نطمع أن يمر بها أحد من التلاميذ والمدرسين ليقرأ الفاتحة .

ويبدو أن حركة تعميم التعليم وتيسيره لجميع المواطنين تبر ملاءمة اصلاح تلك المشكلة ، لما تستلزمه من الإكثار من التلاميذ في المدرسة ، ولكني أرى أن أصل الداء في المناهج المزدحمة وفي الكتب المدرسية وكيفية الامتحان فيها ، مما يضيق المجال أمام الكتاب العام الذي يجب أن يتخذ الناشئ بجانب الكتاب المدرسي ، ذلك أيضاً يغرس في نفوس الطلاب أن الكتاب ضرورة مدرسية امتحانية يحسن التخلص منها بعد الامتحان . وإرهاق المدرسين ليس بكثرة الجدول فحسب ، بل يأتي أكثره من طريقة الشرح والتلقين ، والتدقيق غير المجدي في تصحيح الكراسات ، أي من إلقاء العبء كله على المدرس وعدم إشراك الطالب وتعويده على التفكير والتحصيل بنفسه ، والمدرس لا يفعل ذلك مختاراً ، بل يزاوله بدافع طريقة الامتحان ودافع « التفتيش » التي يحتاج وحده إلى مقال .

عباس خضر



المعـــطف

مسرحية من كليفورد باكس

للأستاذ علي محمد سرطاوي

(لك روح الشاعرة الشعرية الأسلوب في شبابها المعذب عبد الرحيم الذي شغل عنها الأستاذ أنور المعداوي برثائه البليغ في عدد الرسالة ٨٩٦ حياة خالقة في الأدب العربي ، ستراك الأجيال الحية في أنه ... من السماء والعطر من ... ومسالك من السحر يلوب من كل كلمة ... وكل حرف ... الدموع . . .)

كاتب المسرحية

كليفورد باكس كاتب انجليزي معاصر لم تسعفني المصادر التي بين يدي عن تعريفه لقراء الرسالة أكثر من أنه كتب هذه المسرحية ويقول إنها جاءت ملخصاً يسيراً على تقديمه عشرة أجيال ليشاهد تمثيلها في ملهى مجاورة للمرة الثانية وأنها جملة مؤمنا ..

أشخاص المسرحية : ملك ، روح ، فتاة ماتت حديثاً .

المكان : عالم الأرواح غير المنظور

المنظر : ربوة مخضرة عالية ، تحدق بها صخور هائلة ، يوصل إليها طريقان : طريق إلى اليمين يوصل إلى السماء ، وطريق إلى اليسار يؤدي إلى الأرض ، وقد جلس الملك بين الطريقين على مقعد من صنع الطبيعة

يتلفت الملك ويتلفت يمنة ويسرة . يدخل من اليمين روح في طريقه إلى الدنيا ، يتحسس طريقه كالأعمى وكأنه في غرفة مظلمة يشعر الملاك بحركته فينظر إليه

الروح : لقد ضللت طريقي - ما في ذلك شك! إلى أين أمضي؟ أين الطريق؟ أأنا منغمس في هذا الظلام؟ أم أنا عائد أدراجي إلى السماء؟ إلى أين يقودني السير؟ لست أرى شيئاً مما حولي. لست أدري هل يبدو الظلام دائماً لمن هي على هذا الشكل قرب عهدي بالسماء؟ ينبغي أن أنتظر قليلا لعل نظري يعتاد تدريجيا هذا النور الشاحب. نعم ، لقد صدق ظني ، ها أنذا أخذت أشعر بكل ما حولي . يخيل إلي أنني في منخفض بين جبال شاهقة ، تتراءى من فوقها قمم السماء الزرقاء ، ومن تحتي هوة رهيبة يبدو عليها عشب أطلت من أوراقه عيون الأزاهير . أظلمت مثل هذه الساعة الهائلة في مثل هذا الوقت القصير؟ يخيل إلي أنني لست بعيدا عن الأرض التي سأعود إليها اليوم والتي كنت فيها مرة واحدة في الماضي . وإذا لم تخني الذاكرة ، وإذا لم تكن العيون تنظر إلى الأشياء هناك نظرة تجسم الخيال ، فإني ما زلت أتذكر أو كما يخيل إلي على الأقل ، أحراجا كثيفة ، وصحاري واسعة ، وبحرا ساحرا ، وقروياً بعيدا ، والنور ينبعث من الشمس وكأنه شائع ذائب من الماس؟ وما زلت أتذكر رجالا ونساء ترفرف السعادة عليهم! يحملون علوما رهيبة وعقولا متزنة . ما أجمل الرجوع مرة أخرى إلى الأرض في صورة : فتاة أو شاب! ليتني أستطيع الاهتداء إلى الطريق .

الملك : إن الأرض بعيدة عنك مسيرة يوم واحد .

الروح : من هذا الذي يتحدث؟ أملك؟

الملك : نعم

الروح : تحية السماء إليك! لقد أرسلت إلى الأرض فهل لك أن تدلني على طريقها؟

الملك : أتريد الحياة في الأرض؟ ألم تكن سعيدا في السماء؟

الروح : إنني جد سعيد فقد ملأت السماء الحية وقامت على جوانبها ، ولكن لم يعد في استطاعتي الاستماع إليها . أتذكر من ذلك السيل الدافق من النعيم الإلهي ، فهل يداخلك العجب ، والدهشة هذه إذا رأيتني أفتش عن الأنغام ما يجري من هذا الكنز النفيس؟ هنالك أشياء ، لا شك أنني نسيتها من الأرض التي ما زالت لها آثار حلوة في ذاكرتي ، ولذلك كنت أستمع من وقت إلى آخر ، والدهشة تتماسكني ، من أولئك الذين رجعوا منها ، أن الناس لا يستطيعوا الشاعة والسعادة في جوانبها كما هي في السماء ، وهذا ما يدفعني إلى الاعتقاد بأن هنالك مجالا متسعا للحب ولصنع المعجزة . إذا كنت أسير في اتجاه غير صحيح ، أرجوك أن تدلني على الطريق .

إنني أعرف الكثير من الأرواح قد ارتعشت خوفا وهي

مدو من الأرض ، رهبة من شبح اليقظة والنوم هناك : اسكتني لا أذكر أن عاوناً من هذا النوع دارت بخلدي وأنا أنزل إلى الأرض للمرة الأولى .

الملك : فى استطاعتك من هذه الصخرة بالسكون كوكب الذي تفتش عنه .

الروح : أين ؟ انى أرى نجوماً لا يحصيها العد – وكأنها فقاقيع على بحر من الظلام . لست قادراً على تمييز الأرض من بينها : أهي ذلك النجم الهائل المتدفق من اللهيب ؟

الملك : كلا . انها أقل لمعاناً . انها دائرة صغيرة ، وسكن متواضع لا يكاد يرى من الشموس فى الفضاء .

ألا ترى تلك الكرة المائلة فى الناحية اليمنى من المدب الأكبر ؟ والتي ينبعث منها شعاع متعدد الألوان كانبعاث الرجل الشيب ؟ من تلك الدامة اتجه ببصرك إلى الشرق واجعل نظرك ينفذ فى استمهال إلى ما وراء المجره .

الروح : ليس فى استطاعتي أن أرى شيئاً من تلك الأشياء التى تشير إليه ؛ لقد أرى ظلاماً دامساً وفراغاً هائلاً .

الملك : أرجع البصر إلى تلك الجهة مرة أخرى

الروح : يخيل إلى أنى أرى نقطة شديدة اللمعان ، أهي تلك الأرض ؟

الملك : لقد ابتدأت ترى الأشياء التى تتحرك فيه الأرض . أن الذى رأيته ليس إلا الشمس التى يبهر نورها نظر الانسان

الروح : لكني الآن أرى أقراصاً شاحبة الضوء تدور على نفسها فى شكل دائرى ، أراها ذرات سابحة فى الفضاء تتحرك أمام عيني النبيتين ؟

الملك : أترى تلك الدائرة الثالثة ؟

الروح : نعم — ؟

الملك : تلك هى الأرض ولكم تبدو للعين صغيرة ، دامسة الظلام ، ولكنها على الرغم من ذلك ، مفعمة بكل شيء جميل ، وكل شيء لا تقوى الأنفس على احتمال ما فيه من أحزان تعاير لها الألباب شباباً .

الروح : ألا ترى بالمشير كيف تكون الولادة التى يبعث فيها روح من السماء إلى الأرض ؟

الملك : انها أشبه ما تكون بنوم بطيء ، واغلال امريكى ، وجزر تتكشى فيه القوة على حسها ، وغرق فى تيار الحياة ، ثم يقظة مفاجئة على صراع مميت فى النفس بين الرغبة والحرمان وبين الدموع والابتسامات

الروح : أقسم بالحق أن سوف لا يقف ما ذكرت عقبة بينى وبين الحب الذى سأتمنى منه حتى تنتهي الحياة نفسها .

الملك : لقد سبقتك إلى الأرض ملايين وملايين من الأرواح التى كانت تحمل فى نفوسها هذا الشعور . من يدرى فلعلك واجد لديك من القوة ما يكفى للثبات على هذه النزعة ! لكنني لا أرى بداً من أن أحذرك حين أقول لك إن الولادة أو البعث إلى الأرض تحمل فى طياتها ما يأفى تضائل روحانية السماء .

الروح : أرجوك أن تقودني إلى القمة العالية لأمضى إلى الأرض ؟

الملك : انك ستعجل القضاء فى اللحظة التى انتظر فيها مواجهة عمل شاق جداً

الروح : ماذا تعنى ؟

الملك : انى فى انتظار خالدات متخلفات لأدلها على الطريق إلى السماء . إن الأرواح حينما تخلع أجسادها ، أو كما يقول أهل الأرض حين تموت ، تجتازيها من هذا الطريق . إن الأرواح وهى تهبط من السماء إلى الأرض لا ترتدى غير هذا الزى البسيط الذى تبدو فيه أنت الآن ، ولكن مراحتين على الأرض لا يمكن المثل الكنود الرهق من أن يحيك للروح رداً من المثل العليا وإنما ينسج لها سلطاناً من الكبرياء والغرور والطموح ، لا يستطيع عين الانسان الفانية رؤيته فترتديه النفس ، ويصبح ذلك السلطان الوثنى بالذهب والدر والجوهر من سخافات الأرض حاجزاً قوياً بين الانسان وجوهره الالهي الصحيح ، كما تختفى قيب الماروداء الدخان عن العيون ، وحين تموت تلك الأنفس لا تخلع هذا الرداء الذى ارتدته على الأرض ، ويضيق عليها فى طريقها إلى السماء وأنا فى هذا المكان الذى يفصل السماء عن الأرض ، أقوم بوجوب تسليم الأرواح وارشادها إلى خلع هذا المعطف قبل دخول السماء لتعود اليه فى بساطتها النورانية كما أنت الآن

الروح : هل لك في جميل تطوق به عنقي ؟

الملك : ماذا تريد ؟

الروح : أن تتيح لي فرصة إقامة البرهان على انى لم أتكلم من الحب إلا كلام المؤمن بما يقول ، وذلك عن طريق التأني معك في تخليصها من ذلك المعطف .

الملك : إن الأمر ليس من السهولة كما يخيل اليك - إنه أمر شاق عسير

الروح : كيف ! أعسير على أن أدعها بحلم ذلك الرؤيا ، وأن تعود إلى سابق عهدها ؟

الملك : سأتيح لك الفرصة التي تريدها . تلفت إلى تلك الناحية — (بها قاعة ، وبها تتخلص من المتاعب الأرضية . ها هي تعني وهي في حالة متوسطة بين اليقظة والنوم ، أشبه ما تكون بإنسان يحلم حلماً لا يستطيع الانفكاك منه . (تدخل الفتاة من اليسار وقد ارتدت معطفاً طرزت على حواشيه رسوم مختلفة زاهية الألوان . ، رائعة النظر ، يدل سوءها وخطوات سيرها على أنها نائمة)

الفتاة : كلا — لا تذهبي ! ينبغي أن لا تتركيني ! — يخيل إلى انى في غير فراشي ، وعلى الرغم من أن الألم قد بات يكاد يكلكل على رأسي ، ويدي الحي قد استراح منها جسدي ، فإني أحس بأني أسعد في عالم خيال من قمة إلى قمة ، غير مستطيعة الكف من ذلك : أشعر بميل شديد للراحة قبل أن أستريح

(تجلس على الأرض)

الملك مخاطبا الروح : إنها لما تستطع التخلص من أفكارها كما رأيت ، ولا تزال مربوطة بتلك الحياة التي كانت فيها .

الفتاة : اقتربي مني ، أريد أن أحدثك عن أمور لها خطرها عندي . أتسمعينني ! إنني معجبة لأختي بخلع من الال ، والطوف يساورها ، وتحدث عنها عن أمكان تجري من دمه إذا استمر المرض طويلا . أكدى لها أني سأدفع كل مالها ، وأني لن أموت ، وأن هذا المرض سيزول كغمامة الصيف — ويح نفسي ! — ما الذي حدث ! لا أحس بجيبا — أراني في نوم عميق !

الملك للروح : إن هذا الذهول الشديد الذي يعصر كل قوة فيها ، اللحظة بعد الأخرى ، سيصبح أقل شدة وعمقا .

الفتاة : ما أحسن الصور التي تتراءى لي — ! أراني في حلم عميق ! . . الصور — والشمس المرتفعة — وقد دامت أشعتها في النجوم ، فيما حف بها أركانه الأزهار المنثور — وتلك السفوح الخضر وقد غطتها الأزاهير التي لا تعرفك — اقتربي قليلا مني — وإذا حدثتك اليوم عن النقود فدعيها حتى بالدفع حالما تذهب وطأة الحمى — أين ذهبت ؟ — يخيل إلي أنك بعيدة عني آلاف الأميال — من صخور الأحلام ترتفع أمامي مرة ثانية .. ينبغي أن أستمر في السير ، أشعر بضعف شديد وإعياء مفرط ... حتى هذا المعطف الذي أرتديه قد أصبح يثقل رويدا رويدا فلا أكاد أقوى على حمله .

(تقف بصعوبة شديدة)

الملك للروح : لقد استيقظت الآن . اقترب منها . حل ذلك الطلسم الذي يربطها بالحياة حتى تخلع معطفها . أسرع في عملك

(يسير إلى اليمين)

الروح : لقد أتيت لمساعدتك ... و ..

الفتاة : وهل أنا في حاجة إلى ذلك ! لقد كان كرباني على الدوام يحملني احتقار الاعتماد على الآخرين — ولكن — قل لي من أنت ؟

الروح : ماذا ؟ انني روح في طريقه إلى الأرض من السماء .

الفتاة : لا يوجد شيء ، كالذي تتحدث عنه ..

الروح : لكن ... كيف ؟ ألا تستطيعين تصديق ذلك الآن ؟ ... أنظري ... أنني أمامك !

الفتاة : أرواح بلا أجساد ، أشياء غير منظورة — أنها أشبه ما تكون بآلة موسيقية لا أوتار لها — ومع ذلك فأنى أرى لك شكلا ..

الروح : إن الشكل الذي تبصرينه إنما هو صورة جسدي هناك .

الفتاة : هناك ؟ أين ؟ أتقصد الأرض ؟

الروح . أنني ذاهب إليها اليوم .

الفتاة : أتعني ما تقول ؟ إذا كان ما تقته من نفسك صحيحاً في أية حالة أكون إذن ؟

الروح : إن جسدك قد مات ، وأنت في طريقك إلى السماء .

الفتاة : أنا ! ميتة ؟؟ رباه ! ماذا أسمع ؟ إذا كان قولك صحيحاً فما أجهل الناس على الأرض بأسرار السماء ... إن البشر قد انصرفوا في السنين الأخيرة عن التفكير في هذه الأمور ، واعتقدوا أنها خرافة ، وأن لا حياة أخرى بعد الموت.

الروح : أصحيح ما تقولين ؟ ما أغرب ذلك ! أليس مرد استغرابي ، إلى مجرى من تخيل الدنيا التي يبحثون فيها عن حقيقتها .

الفتاة : أحسب أن هذه الصخور هي السماء ؟ أليست كذلك ؟

الروح : وأسفاه ! إن السماء بعيدة جداً من هذا المكان الذي وقف فيه ذلك الملاك ليفصل عالم المادة من عالم الروح .

الفتاة : ما دام الأمر كذلك ، فإن أحد الطريقين يوصل إلى السماء حتماً . أي طريقي هذا ...

الروح : أتحسبين أن في استطاعتك الانطلاق إلى السماء وأنت على هذه الصورة التي كنت فيها على الأرض ؟

الفتاة : لماذا لا يكون ذلك في استطاعتي ؟

الروح : إن الأعمال التي كنت تقومين بها على الأرض ، ليست إلا معاقد من التعب قد جف منها الرحيق .

الفتاة : لو كنت ميتة كما تخيل إليك ، لفقدت ذوقي وشعوري . والآن – وأنا في السماء – على زعمك – تقول لي أني سأفقد تلك الإرادة الحديدية التي جعلت اسمي مصدر هلع بين الناس ، وتلك الثقافة العميقة التي صقلت عقلي وجعلته أسوح وحدة ؛ تقول لي : أني سأجد هذين مكان في النفيسين اللذين هما كل ذخيرتي ، لا شيء أبداً . ومعنى ذلك أني أصبحت كسائر الناس . إن رغبة عنيفة لا قدرة لي على الغلبة عليها تدفعني إلى دخول السماء . فماذا يجب أن أفعل ؟

الروح : أول ما يجب عليك عمله أن تخلعي هذا المعطف !

الفتاة : لكن لا تنس أني بدأت حياتي وأنا أصنع هذا المعطف ، لقد نسجته من آلاف الخيوط ، وزينته بالرسوم المعقدة ولونته بألوان قوس السحاب ... إنه صورة صحيحة من جهادي في الحياة ، وقليل من البشر من يستطيع الحصول على مثله ، ولا شبيه له عند الناس .

الروح : أقسم لك مؤكداً ، بأن ليس في استطاعتك دخول السماء مالم تخلعي هذا المعطف عنك :

الفتاة : لا أستطيع تصديقك ... لماذا ؟ لأني إذا تجردت من ذلك لم أصبح شيئاً .

الروح : إن هذا الذي يعز عليك خلعه ليس برداء

الفتاة : – كلا ... إنه أكثر من ذلك – إنه الشخصية التي أبدو فيها – إنه حياتي الماضية – وذكرياتي .. وما وراء كل ذلك من أحلام وآمال وشعور – وإذا قضي على بخلع هذا المعطف ، فما الذي يبقى مني ؟ ليت شعري ماذا أصبح إذا فقدت شخصيتي ؟ ومن أنا إذا غدوت واحدة من الملايين – أو مثل الهبيب المنبث من الشمس ؟ لن أكون في تلك الحالة ، ما أنا عليه الآن – أبداً ... إذا كنت داهباً إلى الحياة على هذه الصورة فأجمل أمانيك خالية فيها ...

الروح : ماذا تعنين ؟

الفتاة : أعني أنك إذا لم تدبر حيلة تؤثر بها على أبناء جنسك فسوف يكون نصيبك البؤس والعذاب في الحياة حتى نهايتها ... إنك ستكون موضع الازدراء – مطارداً عن الأبواب ومنبذاً كشيء حقير تافه

الروح : ألا يساعد الناس بعضهم بعضاً في الأرض ؟

الفتاة : أتبدو على هذه الصورة من الجهل والغباوة ، وتتصدى لتلقي النصائح ! ! إن الأرض بالنسبة إلى مثلك من طرازك مفروشة بالأشواك ، ومفعمة بالآلام والدموع ... إن الناس سينظرون إليك نظرهم إلى مشوه أو مأفون ...

الروح : ما أغرب ما يوصف به الحلق الكريم مخافة ! أليس من الإنصاف للنور الذي يشع في صحارينا في السماء أن يكون الخلق الكريم كالهواء مشاعاً للناس جميعاً ، لا يستغني عنه أحد كائناً من كان – لكن يريك خوفي من الحب .. ؟ أليس له مكان في الأرض بين الناس ؟

الفتاة : إنه كالنجم البعيد – يرى ويبرح ما لم يغب عن العيون .

الروح : أيتحادث الناس في الأرض ، في ذلك المكان الذي أكل الدهر عليه وشرب ؟

الفتاة : أنهم يقتتلون على بارقات قليلة من التراب ، وعلى قليل من مادة براقة يسمونها الذهب ...

الروح: أولا يزالون في ظلامهم القديم ... لكن ماذا يفعلون في وقت السلم ؟

الفتاة : عندئذ يجاهد كل إنسان في زيادة ما عنده من رزق كثير وأخذ اللقمة من فم الجائع ...

الروح : أيها الصديق صديقه ... الأخ أخاه ، على هذه الصورة ؟ إذن كيف تقدم الحياة خطوة واحدة على الأرض ؟

الفتاة : كيف ؟ إن ما فيها من التقدم ، مرده إلى الصدف ، لا إلى إرادة الإنسان

الروح : كنت أظن أن الناس يحملون قلوبا رحيمة ، وأن المساواة طريقهم السوى في الحياة ...

الفتاة : ولماذا تحسبهم كذلك ؟ ألا يرون أنهم مجرد ماء سابح في فضاء الكون الفسيح ...

الروح : ولكن كيف فات عنهم أنهم أرواح ؟

الفتاة : ومع ذلك فإن معظم الناس يبذرون الحياة في الخلافات وفي إثارة المنازعات ...

الروح : وما أشقاه ! إذا كان صحيحا ما أسمعه منك ، فإن الحياة جحيم ... لقد ابتدأت أخشى الرجوع إليها .

الفتاة : إذا بقيت مدى الطوبة هناك كما أنت هنا ، وبقيت تعتقد أن الحب هو السلطان الذي تخضع له نواميس الكون ، فإنك ستجد الناس في حقيقتهم ... جنسا من المخلوقات تمعنا في الخبث واللؤم والقسوة والعجرفة لا يحترم غير الأقوياء ولا يبجل غير الظالمين ... يستذلون الضعفاء ويجبرونهم على تحمل الأذى والمذلة والإرهاق ... إني أسدي إليك هذه النصيحة ... فكن عاقلا ... فكر في نفسك ... واصنع لك من الآن معطفا تتقي به الأذى ، وتخفي ما فيك من طيبة وراء مظاهر القسوة فيه ... إنك في الأرض أحد رجلين ، رجل يفرض إرادته على الآخرين ويسوقهم كالأغنام أمامه ، ورجل لا شأن له بين الناس ، ولا يقول (لا) على فيه ، إذا سمع كلمة الشتم ... ولكن إذا اقتلعت جذور الإنسانية والرحمة من قلبك ، وتركتها هنا في السماء وأنت في أول طريقك إلى الأرض ، فإنك ستأخذ هناك كل ما تريد ، وتدفع الآخرين عن طريق مجاحك ، وتختطف اللقمة من الجائع ، لا لتأكلها ، ولكن لتحتفظ بها لتركك ... عندئذ لا أرى مانعا يحول بينك وبين السعادة ... وليست لديك وسيلة أخرى للنجاح في الحياة ...

الروح : كنت أحسب أن في استطاعتي حمل الحب للإنسان على الأرض قبل حديثك هذا ...

الفتاة : ليس للحب وطيبة القلب مكان هناك ...

الروح : أهذا هو السبب الذي حملك على عمل هذا المعطف لنفسك ؟

الفتاة : الآن والآن فقط ... أخذت تدرك قيمته بالنسبة لإنسان يعيش في الحياة ... لكن بربك أخبرني عن الطريق التي ينبغي أن أسلكه ؟ إنها من مسافات طويلة ... هائلة الانحدار ...

الروح : إنك لا تستطيعين التحرك من هذا المكان قبل أن تخلعي عنك هذا المعطف ...

الفتاة : لقد أصبحت مكارا ... داهية أيها الروح ... إنك تمنى الآن - بطريقة خبيثة الحصول على معطف هذا لنفسك ... إنها حيلة طريفة ... لكن ما دمت لا تريد أن ترشدني إلى الطريق فسوف أسير كما تقودني قدماي ...

(تتحرك سائرة إلى اليمين ... لكن الملك يسد عليها الطريق)

الملك : إلى أين تريدين الذهاب ؟

الفتاة : إلى السماء ... إلى السماء ...

الملك يجب أن تخلعي عنك أولا هذه الكبرياء المتمثلة في نفسك الأمارة بالسوء ...

الفتاة: وأنت أيضا تقول لي هذا ... يبدو لي أنه شخص بائخ في السماء ...

الملك : ليست إلا أحلاما أرضية

الفتاة : والذكاء الذي كان يحملنا وراء أهدافنا كل ؟

الملك : ستجدين في الآفاق العلوية ما لا يخطر لك على بال ... سوف تنالين أصعب الأشياء بأسهل الطرق وأسرعها ...

الفتاة : كيف أيها الملاك ؟

الملك : إذا أصبحت شبحا مرفرفا كل ما تريد منه بسهولة عجيبة ويسر غريب ...

الفتاة : لكن معطفي ليس الانفسى ... وأنت على الرغم من هذه الحقيقة تقول ... ولكن لا أجدني قادرة على خلعه أبدا

الملاك : تشجعي ... وألقي بهذا الثوب الأرضية بعيداً عنك

الفتاة : لن أفعل ذلك أبداً .

الملاك : إذن لا مفر لك من البقاء في هذا المكان وعلى هذه الحالة المتوسطة بين الأرض والسماء ، حتى يحين الوقت الذي يهديك الله فيه إلى الصواب فتكرهين هذه النفس وتودين التخلص منها .

الفتاة : وا أسفاه ! ليست لي القدرة على البقاء لحظة واحدة في هذا المكان ...

الملاك : إذن ... اخلعي هذا المعطف ...

الفتاة : أحس أن عواطفي ورغباتي قد تسارعت ... كلا ... ولكن يجب أن أخلع هذا المعطف مهما كان العمل مخيفاً ...

(تخلع معطفها وترميه على المقعد .. وتبدو في زي بسيط ساذج مثل الروح تماماً)

لقد أصبحت الآن حرة طليقة من القيود ... ورجعت إلى عالم السعادة المطلقة بعد طول الرحيل في عالم الشقاء ... وأصبحت جزءاً من الوجود ... محمولة على أمواجه النورانية كما تحمل أمواج البحر الزبد إلى الشاطئ القريب ...

الملاك : (يخاطب نحو الروح) وأنت ... ؟ وداعاً ! إلى اللقاء بعد رحلة الحياة ... إلى اللقاء ... !..

(يسير الملك والفتاة في الطريق المؤدي إلى اليمين .. ويبقى الروح في مكانه ينظر إليهما وهما ينأيان عنه ... يدير وجهه إلى الجهة الأخرى فتقع عيناه على المعطف ..)

الروح : إن طريقي شاق مرهق طويل ... لقد هزأت الفتاة من بساطتي ... وأكدت لي بأنني سأكون في دنيا البشر موضع التهكم والازدراء ... ولكن ليت شعري ما الذي يحدث لو أنني أخذت معطفها ! أحسب أنني سأكون قوياً ، فالمقال البصيرة موضع رهبة الناس واحترامهم جميعاً .. ينبغي أن ألبس هذا المعطف ..

(يلبس المعطف)

لن أكون بعد اليوم أحد أولئك الذين يكتفون بالفتات المتساقط من أيدي الآكلين في وليمة الحياة على مائدة الدنيا . سأشمخ من ضروع المذنبين ، وأدوس على أيدي الطالبين ... سأحكم الناس ولن يحكمني إنسان .. وسأمسح الأوحال من ظهور الآخرين وأسوقهم بسوط الظلم كالبيت في طريق طويل مفروش بالأشواك والمتاعب ...

سأثير الرعب والهلع في رحاب الأرض

سعرفني الحياة حين أضع العمامة على رأسي

« يسير في الطريق الأيسر هابطاً إلى أقصاها .. »

الملاك : بعد أن أخذ مكانه على المقعد بعد إيصال الفتاة إلى السماء لقد لبس المعطف .. ما في ذلك شك ... وا أسفاه ... لقد تبخرت أحلامه برسالة الحب إلى الأرض ... مضى في الطريق التي رسمها القدر له ... إلى دنيا البشر ... إلى المكان الذي تخيم فيه الطبيعة في الطبائع ...

« ينظر إلى الجيب »

أي روح سيهبط الآن من السماء إلى الأرض ؟ ماذا سيكون مصير أحلامه ؟ إن بعض الأرواح حين تصل إلى هذا المكان تتحول عن أهدافها ، ويتشتت ما فيها من خير قبل وصول الأرض ... ولكن بعض الأرواح يشرق فيها الحب إشراقاً قوياً لا تقوى ظلمات الأرض على طمسه فيها

علي محمد سرطاوي

دار المعلمين الريفية

إدارة البلديات العامة

٣٠

مهمات

تقبل العطاءات بمجلس شبين الكوم البلدي حتى ظهر يوم ١٥-١٠-٥٠ عن توريد أدوات مهمات ، وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة بطير مبلغ ٥٠٠ مليم خلاف أجرة البريد. ٦١٣١